

المدينة في العالم الإسلامي

المجلد الأول

تحرير

سلمى الخضراء الجيوسي

ريناتا هولود   أتيليو بيتروشيولي   أندريه ريمون

الفهرسة أثناء النشر - إعداد مركز دراسات الوحدة العربية
المدينة في العالم الإسلامي/ محرر عام سلمى الخضراء الجيوسي؛ محررون خاصون ريناتا هولود، أتيليو بيتروشيولي وأندريه ريمون.
٢ مج.
محتويات: مج ١.
يشتمل على فهارس.
ISBN 978-9953-82-671-4 (vol. 1)
ISBN 978-9953-82-670-7 (Set)
١. المدن الإسلامية. ٢. المدن العربية. ٣. الآثار الإسلامية. ٤. بغداد - تاريخ. ٥. فاس - تاريخ. ٦. تونس - تاريخ. ٧. القاهرة - تاريخ. ٨. القدس - تاريخ. ٩. حلب - تاريخ. ١٠. بورصة - تاريخ. ١١. طرابلس - تاريخ. ١٢. الجزائر - تاريخ. ١٣. كرمان - تاريخ. ١٤. إسطنبول - تاريخ. ١٥. بُخارى - تاريخ. ١٦. سمرقند - تاريخ. ١٧. شيراز - تاريخ. ١٨. أصفهان - تاريخ. ١٩. أغرا - تاريخ. ٢٠. حيدر آباد - تاريخ. ٢١. صنعاء - تاريخ. ٢٢. هَرَر - تاريخ. ٢٣. الرباط - تاريخ. ٢٤. سلا - تاريخ. أ. العنوان. ب. الجيوسي، سلمى الخضراء (محرّرة). ج. هولود، ريناتا (محرّرة). د. بيتروشيولي، أتيليو (محرّر). هـ. ريمون، أندريه (محرّر).
953

العنوان الأصلي بالإنكليزية
The City in the Islamic World (vol. 1)
edited by Salma K. Jayyusi [et al.]
(Leiden; Boston, MA: Brill, 2008)

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن اتجاهات يتبناها مركز دراسات الوحدة العربية

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «بيت النهضة»، شارع البصرة، ص.ب: ٦٠٠١ - ١١٣
الحمراء - بيروت ٢٠٣٤ ٢٤٠٧ - لبنان
تلفون: ٧٥٠٠٨٤ - ٧٥٠٠٨٥ - ٧٥٠٠٨٦ - ٧٥٠٠٨٧ (٩٦١١+)
برقياً: «مرعربي» - بيروت
فاكس: ٧٥٠٠٨٨ (٩٦١١+)
email: info@caus.org.lb
Web Site: <http://www.caus.org.lb>

الطبعة الأولى
بيروت، أيار/ مايو ٢٠١٤

الفصل الثالث والعشرون

أغرا المغوليّة: مدينة حدائق على النهر

إيبا كوش(*)

مقدّمة

لم يتمّ حتى الآن استيعاب مدى مساهمة المغول في «المدينة الإسلاميّة» بصورة كافية، إذ تركّز الاهتمام على مدينة شاه جهان أباد التي أنشئت منذ عام ١٦٣٩ وما بعد في منطقة دلهي، العاصمة القديمة للسلاطين[١]. ما يقترحه هذا الفصل هو أنّ أغرا، أوّل عاصمة للمغول، تمثّل إنجاز المغول التخطيطيّ المديني الأكثر أصالة، الذي يتخذ من الحديقة على حافّة النهر وحدة نمطيّة في خطّة دائمة التطوّر.

أنشئت أغرا، المدينة التي تحتضن تاج محلّ، قبل أن يتخذها السلاطين اللوديون مقرّاً لحكومتهم عام ١٥٠٥ بوقت طويل[٢]. وبعد ذلك بعشرين عاماً، أي عام ١٥٢٦،

(*) أستاذة في معهد تاريخ الفن، فيينا ـ النمسا.

(١) انظر مثلاً: S. p. Blake, *Shahjahanabad: The Sovereign City in Mughal India, 1639-1739*, Cambridge South Asian Studies; 49 (Cambridge, MA: Cambridge University Press, 1991).

(٢) هناك القليل من الأعمال عن أغرا قبل المغوليّة والمغوليّة، انظر على وجه الخصوص: Particular S. Muhammad Latif, *Agra: Historical and Descriptive* (Lahore: Sandhu Printers, 1981); H. R. Nevill, *Agra: A Gazetteer* (Allahabad: Printed by the Superintendent Government Press, United Provinces, 1921); Abdul Aziz, «The City of Agra at the Beginning of Shah Jahan's Reign,» in: «A History of the Reign of Shah Jahan,» *Journal of Indian History*, vol. 7 (1928), pp. 127-147; Mahdi Husain, «Agra before the Mughals,» *Journal of the United Provinces Historical Society*, vol. 15, no. 2 (1942), pp. 80-87; I. =

عندما وطّد المغول وجودهم في هندستان، أصبحت أغرا أول عاصمة للإمبراطورية المغوليّة واكتسبت في أثناء هذه الفترة سمة مميّزة كمدينة حدائق على حافّة النهر. وقد اعتاد المغول، الذين قدموا من أواسط آسيا عبر مدينة كابل، الإقامة في حدائق تقليديّة مخطّطة. وبدأ بابُر، مؤسّس السلالة المغوليّة، وأتباعه بإنشاء الحدائق «على نمط الصروح في خراسان» على طول مصدر الماء المتوافر في أغرا، أي النهر البطيء الجريان الذي يدعوه المغول يَمُنا أو جَمُنا أو جاون[٣]. وكيّفوا التصوّر التيموريّ للحدائق التقليديّة المخطّطة مع الوضع على حافّة النهر على نحو مبتكر.

في بداية القرن السابع عشر كانت أغرا المغوليّة «إحدى عجائب العصر ـ كمركز للطرق التجاريّة البريّة والمائيّة على السواء ـ بقدر ما كانت كذلك مكان اجتماع الأتقياء والحكماء والعلماء من كل أنحاء آسيا... نجمة حقيقيّة يُهتدى بها للحرفيّة الفنيّة والموهبة الأدبيّة والقيمة الروحانيّة»[٤]. وقد اعتبر المراقب الإنكليزي جون جوردان الذي شاهد مدينة أغرا عام ١٦١١ أنها «إحدى أكبر المدن في العالم، أكبر كثيراً من القاهرة الكبرى وفقاً للتقارير»[٥]، في حين رأى الرحّالة الألمانيّ يوهان ألبرخت فون ماندلسلو عام ١٦٣٨ أنّ حجمها يبلغ «ضعفي حجم أصفهان على الأقلّ»[٦]، وقُدّر سكّانها في ذلك الوقت بنحو ٧٠٠٠٠٠ نسمة[٧].

كانت نواة أغرا تتكوّن من حدائق على طول ضفّتي نهر جَمُنا، وكان ما تبقّى من المدينة يحيط بمخطّط حافّة النهر في الغرب. مثّلت الحدائق أماكن إقامة الأسرة الإمبراطوريّة وأعلى طبقات الوجهاء، وتحوّلت بعض المواقع إلى حدائق مقابر. ولم يستوعب الباحثون السابقون تماماً فكرة أن يكون لمركز المدينة سمة الضواحي، وأن

= p. Gupta, *Urban Glimpses of Mughal India: Agra: The Imperial Capital (16th and 18th Centuries)* (Delhi: Discovery Publishing House, 1986).

(٣) Babur-Nama Babur, *Memoirs of Babur*, translated from the original Turki text of Zahiru'din Muhammad Babur Padshah Ghazi by A. S. Beveridge (New Delhi: Oriental Books Reprint, 1970), pp. 531-533, and Zayn Khan, *Tabaqat-i Baburi*, translated by Sayyid Hasan Askari, annot. by B. p. Ambastha (Delhi: Idarah-i Adabiyat-i Delli, 1982), pp.160 ff.

(٤) Abdul Aziz, «The City of Agra at the Beginning of Shah Jahan's Reign,» p. 129.

(٥) William Foster, ed., *The Journal of John Foster, 1608-1617* (Cambridge, MA: Hakluyt Society, 1905), p. 162.

(٦) *The Voyages and Travels of J. Albert de Mandelslo into the East Indies*, translated by John Davies of Kidwelly, 2nd ed. (London: [n. pb.], 1669), p. 35; quoted in: Abdul Aziz, Ibid., p. 136.

(٧) Abdul Aziz, Ibid., p. 138, and Gupta, *Urban Glimpses of Mughal India: Agra: The Imperial Capital (16th and 18th Centuries)*, p. 31.

تمثّل الحديقة المطلّة على النهر الوحدة النسقيّة المجهريّة لهذا المشهد المديني[٨]. وهكذا لم يتمّ اختيار موقع فريد أو بارز لتاج محلّ، بل أدمج في مخطّط حافّة الماء. عكست المدينة مفهوم الحديقة كمقرّ إقامة فطريّ لسلالة المغول وكانت بالمعنى الأيديولوجيّ الأوسع رمزاً لازدهار هندستان تحت الحكم العادل لشاه جَهان.

أولاً: مكوّنات المخطّط العمرانيّ:

الحديقة المغولية

يخبرنا بابُر في سيرته الذاتيّة، كما هو معروف، عن محاولاته إدخال تقليد الحديقة التيموريّة الفارسيّة لموطنه في أواسط آسيا إلى هندستان[٩]. وقد دعا بابُر حديقته الأولى التي أقامها في أغرا عام ١٥٢٦، تشهار باغ، على غرار بعض حدائقه السابقة في أفغانستان اليوم. وفي أضيق التفاسير، يعني مصطلح تشهار باغ، أو شكله المختصر تشرباغ، الذي حظي ببحث مستفيض، حديقة متصالبة المحاور رباعيّة الأقسام. غير أنّ بابُر يستخدم المصطلح بأوسع معانيه ليشير إلى الحدائق المخطّطة معمارياً ذات الممارّ المتصالبة المرتفعة والمنصّات والبرك.

لم يستخدم المغول بعد بابُر مصطلح تشهار باغ كثيراً. وقد استُخدم في المصادر الشاه جهانيّة على سبيل الاستعارة، بمعنى الأرض أو الأرضيّ، «تشهار باغ العالم»[١٠]، وكانت الحديقة تسمّى باغ عادة. ومع أنّ المغول لم يستخدموا مصطلح تشهار باغ، فهم أنشأوا أعظم التشهارباغات وأكثرها اتساقاً في تاريخ عمارة الحدائق بأكمله. يمكننا تحديد ثلاثة أنواع مختلفة من التشهارباغات أو التشرباغات (انظر الرسم الرقم (٢٣ ـ ١)).

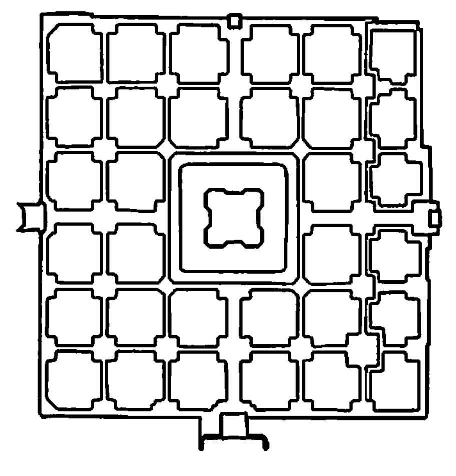
---

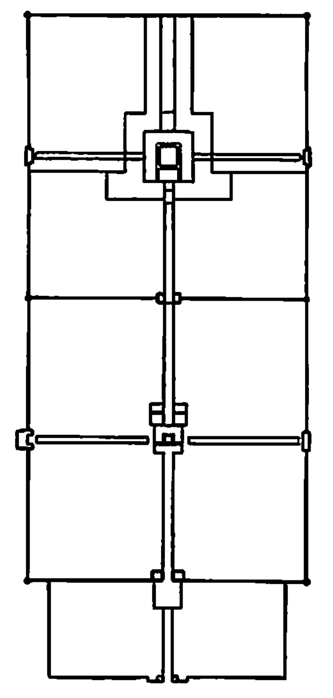
(٨) انظر مثلاً: Gupta, Ibid., pp. 15, 19-20 and 69.
كما يجب استخدام خريطتيه ١ و٢ بحذر. لقد بدأت أحلّل مخطّط حافّة النهر في عدّة منشورات انظر الهامش ٣٠ أدناه لمعرفتها. ويقدّم الفصل الأول من دراستي القادمة عن تاج محلّ، أكمل معالجة لذلك. انظر: Ebba Koch, *Taj Mahal: The Monument and the Riverfront Gardens of Agra* (London: Thames and Hudson, 2005).

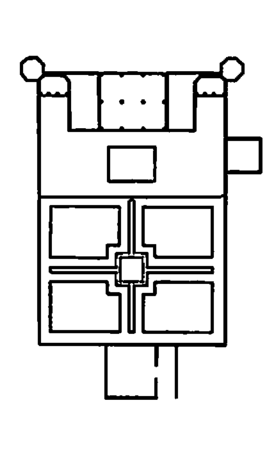
(٩) انظر: Babur, *Memoirs of Babur*, and Khan, *Tabaqat-i Baburi.*

(١٠) «من الواضح بالنسبة إلى من يتمتّع بالبصيرة أنّ إيماءات البادشاه للأرواح النقيّة التي تشبه الماء بالنسبة إلى تشهار باغ العالم، وتعمل مثل الشاهنشاهات أصحاب القلوب النيّرة، وهم مثل الشمس بالنسبة إلى سماء الحكم، لا يخلون من الحكمة». ترجمتي بمساعدة يونس جفري عن: Muhammad Salih Kanbo, *'Amal-i Salih or Shah Jahan-nama*, revised and edited by Wahid Qurayshi based on the Calcutta edn. of 1912-46 by Ghulam Yazdani, 2nd, 3 vols. (Lahore: Majlis-i Taraqqi-yi Adab, 1967-1972), vol. 1 (1967), p. 270.

الرسم الرقم (٢٣ ـ ١)
ثلاثة أنواع من «التشهار باغ» المغولي







إلى الأعلى: تشهار باغ مخروطي متصالب حول محور ضريح همايون، دلهي (١٥٦٢ ـ ١٥٧١)؛
أسفل يسار: حدائق شاليهار ذات الشرفات في كشمير (١٦٢٠ و١٦٣٤)؛
أسفل يمين: حديقة على الواجهة المائية، جزءاً من قصر شاه جهان في باري (١٦٣٧).
المصدر: رسم ريتشارد أ. بازّود وإيبا كوش.

١ ـ تتكوّن التشرباغ المغوليّة النموذجيّة من مربّع تقسمه ممارّ محوريّة متصالبة مبلّطة (خيابان)[١١] إلى أربعة أقسام متساوية. يشغل المركز المحمّل بالرمزيّة تحميلاً عالياً مقصورة الحديقة (عمارة، ناشيمان)، لكن يمكن وجود بركة (حوز) أيضاً. وربما تضمّ الممارّ قنوات غائرة (نهر)، ويمكن وضع بوّابات (دروازه) حقيقيّة أو وهميّة عند نقاط التقاء الممارّ بجدار الحديقة. ويمكن تقسيم أرباع الحديقة بدورها بحيث تنشأ مربّعات مضاعفة. ويحيط بالحديقة جدار (ديوار) ترتفع منه أبراج عند الزوايا.

٢ ـ النوع الثاني هو الحديقة المدرّجة التي طوّرها المغول في كشمير بإدخال مفهوم آسيا الوسطى للحدائق المقامة على التلال إلى المشهد الطبيعيّ الجبليّ للوادي. تصطف المباني الرئيسيّة على مصطبات على طول المحور المركزيّ الذي تشكّله قناة مائيّة تستجمع ماء أحد الينابيع. وتكون الحديقة مسوّرة أيضاً. تمثّل الحديقة المدرّجة التشرباغ بالمعنى الواسع للكلمة. لكن يمكن منح المصطبات كل على حدة الشكل القانونيّ الرباعيّ الأقسام.

٣ ـ النوع الثالث من الحدائق المغوليّة هو الحديقة المطلّة على الماء[١٢]. وهو يمثّل ضرباً من التشرباغ ابتكره المغول من أجل الظروف الجغرافيّة الخاصّة لهندستان، أي سهل الغانج الهندي. فمصدر المياه الرئيسيّ ليس نبع ماء على منحدر جبليّ، وإنّما نهر كبير بطيء الجريان تجرّ منه المياه المتدفقة المطلوبة إلى الحديقة عن طريق روافع للماء. بناء على ذلك، وضع المغول تصوّراً لنوع من الحدائق يستغل الوضع المواجه للماء. فلم يوضع المبنى الرئيسيّ في مركز الحديقة، كما في التشهار باغ المغوليّة الكلاسيكيّة، وإنّما على مصطبة مستطيلة مكشوفة على طول حافة النهر. كانت المصطبة

---

(١١) أتيح في استعمال المصطلحات المغوليّة ممارسة المؤلّفين الشاه جهانيّين، ولا سيّما المؤرّخ الرسمي:
'Abd al-Hamid Lahawri, *Badshah-nama*, edited by M. Kabir Al-Din Ahmad and M. 'Abd al-Rahim (Calcutta: Asiatic Society of Bengal, 1867-1872).

أو المؤرّخ كانبو، الذي يقدّم أوسع المصطلحات المعماريّة المتسقة في أوصافهم لمشاريع مباني الإمبراطور. انظر: Ebba Koch, *Mughal Architecture: An Outline of Its History and Development (1526-1858)*, 2nd ed. (New Delhi: Oxford University Press, 2002), pp. 96 and 143.

وعن مؤرّخي شاه جَهان انظر: Stephen Conerman, *Historiographie als Sinnstiftung: Indo-persische Geschichtsschreibung während der Mogulzeit (932-118/1516-1707)* (Wiesbaden: Reichert Verlag, 2002), in particular pp. 101-109 and 125-126.

(١٢) Ebba Koch, «The Mughal Waterfront Garden,» in: Ebba Koch, *Gardens in the Time of the Great Muslim Empires: Theory and Design*, edited by Attilio Petruccioli Muqarnas Supplements; vol. 7 (Leiden and New York and Köln: Brill, 1997), pp. 140-160; rpt. in: Ebba Koch, *Mughal Art and Imperial Ideology* (New Delhi: Oxford University Press, 2001), pp. 183-202.

تضمّ عادة غرفاً تحت المبنى الرئيسيّ، وسلالم للنزول من أعلى إلى رصيف. وقد ترافق هذا التحوّل نحو حافّة النهر مع فتح الحديقة، وهو ما وفر للمباني الرئيسيّة المزايا المناخيّة للمياه الجارية. كما ولّد أيضاً واجهة مشكّلة بعناية بالنسبة إلى الذين يشاهدون الحديقة من قارب عبر النهر. ويمكن رؤية المنشآت المقامة على النهر من الجانبين: كانت المباني توفّر خلفيّة تسر الناظر للحديقة من الجانب الداخليّ.

أصبحت الحديقة المطلّة على الماء الخطّة المفضّلة للحدائق السكنيّة في أغرا، وبلغت أعظم تعبير عنها في تاج محلّ. وبعد أن اتخذت هذه الحديقة الطابع النموذجيّ والأثري في تاج محلّ فهي صارت امتيازاً إمبراطوريّاً. وفي مدينة شاه جهان أباد الجديدة التي أنشأها شاه جهان (١٦٣٩ ـ ١٦٤٨)، استُخدمت استخداماً حصريّاً تقريباً لحدائق وساحات قصر الإمبراطور المطل على النهر، القلعة الحمراء. وكان على النبلاء البناء داخل المدينة.

أ ـ نباتات الحدائق

لدينا معلومات مفصّلة عن المزايا المعماريّة للحدائق المغوليّة، لكنّ المصادر لا تبلغنا بالكثير عمّا زُرع فيها وأين. كان يُنتظر ألا تكون الحدائق جميلة فحسب وإنّما مفيدة أيضاً؛ لذا زرعت بأشجار زينيّة ذات رائحة عطرة وبالأزهار والجنبات والأشجار المثمرة أيضاً. وقد تواصل جني الثمار من حديقة تاج محلّ، على سبيل المثال، من أيام المغول إلى فترة الاحتلال البريطانيّ[١٣].

ب ـ جناح الحديقة

كانت مقصورة الحديقة المفضّلة مبنى مركزيّ التخطيط يسمّى بالفارسيّة «هَشت بِهِشت»، أي الجنة الثُمانية. وكان يضمّ تسعة أقسام، حجرة مقبّبة في الوسط، وردهات مستطيلة مكشوفة في وسط الجوانب، وغرفاً مربّعة، مقبّبة وذات دورين في الغالب، عند الزوايا. تتصل الحجرة المركزيّة بالردهات المحوريّة بشكل متصالب (+). وفي الأنواع الشعاعيّة التخطيط لهذا المخطّط، أدخل محور متصالب آخر (×) بإضافة معابر قطريّة تصل الغرف القائمة عند الزوايا بالحجرة المقبّبة. ويشير مصطلح «هَشت بِهِشت» إلى الغرف الثماني التي تحيط بالقاعة المركزيّة.

(١٣) Koch, *Taj Mahal: The Monument and the Riverfront Gardens of Agra*, chapter V.

في العمارة المغوليّة في القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر، كان هذا التصميم هو الشكل الأكثر شهرة للمقصورات إضافة إلى الأضرحة، وقد نُظر إليه على أنّه شكل جنائزيّ من أشكال مقصورات الحديقة(١٤). وفي وقت لاحق من القرن السابع عشر، جرى التخلّي في عمارة جهانغير وشاه جهان عن الخطط المركزيّة للمقصورات السكنيّة، وحلت محلّها منشآت تضمّ قاعات كبيرة تحيط بها غرف جانبيّة. يظهر هذا الشكل في المقصورات المطلّة على النهر في أغرا. غير أنّه تواصل استخدام الهَشت بِهِشت للأضرحة، وبنيت عدّة أضرحة في أغرا المطلّة على النهر وفقاً لهذه الخطّة. يقام ضريح الهشت بِهِشت عادة في وسط تشرباغ المقبرة لكنّه في تاج محلّ يظهر في أفخم صوره على مصطبة الحديقة المطلة على النهر.

ج ـ الأبراج

كانت الأبراج المتقنة، ولا تزال، سمة مميّزة للمخطّط المطلّ على الماء من أغرا المغوليّة. وهي ترجع أصولها إلى العمارة التحصينيّة، ثم عدّلت لتكون بمثابة مقصورات للحديقة فكانت في أدوارها العليا مكشوفة ذات فجوات معقودة أو شرف معمّدة تحيط بحجرة داخليّة مثمّنة. وكان الدور العلويّ يتكوّن من الشاتري، أي كشك مقبّب ومعمّد. وفي الحديقة الشاه جهانيّة المميّزة المطلّة على الماء، كانت الأبراج تبرز بداية الأسوار التي تحيط بالحديقة من جوانبها البريّة الثلاثة. وهي بهذه الطريقة تشكّل إطاراً لمصطبة حافّة النهر المكشوفة ترتفع في وسطه مقصورة الحديقة الرئيسيّة. كانت أغرا المطلّة على النهر تعبّر عن نفسها كسلسلة من هذه الوحدات النسقيّة المرتفعة لمقصورة أو منزل تحيط به الأبراج من الجوانب (انظر الرسم الرقم (٢٣ ـ ٢)).

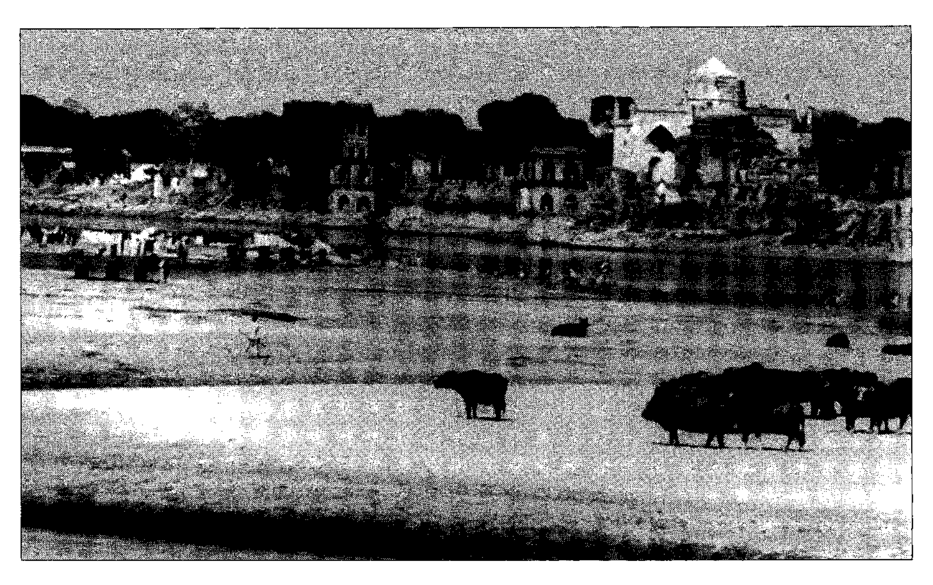
ثانياً: التطور المديني

عندما استولى بابُر على أغرا عام ١٥٢٦ أطلق عملية إعادة تنظيم منظرها المديني. وكانت الحدائق بالنسبة إليه، كونه تيموريّاً، النوع المفضّل للإقامة. ونظراً إلى عدم توافر مثل هذه الحدائق، أو عدم وجود ما يتناسب مع ذوقه منها، في أغرا، كان إنشاء حديقة مشروعه الأول في المدينة(١٥).

(١٤) Koch, *Mughal Architecture: An Outline of Its History and Development (1526-1858)*, pp. 45-50.

(١٥) T. W. Lentz, «Memory and Ideology in the Timurid Garden,» and Anthony Welch, «Gardens That Babur Did Not Like: Landscape, Water, and Architecture for the Sultans of Delhi,» in: J. L. Wescoat =

الرسم الرقم (٢٣ ـ ٢)
أغرا



الضفة اليسرى من النهر تظهر عليها بقايا الحدائق المغولية من جنوب غرب وعبر النهر. في المقدمة برجا الواجهة المائية لباغ وزير خان (باغ محمد زكريا) وبينهما بقايا البرج العالي المطل. خلف البرج ضريح مجهول يعرف بكالا غومباد. خلفه ترتفع قبة ضريح ضخمة لأفضل خان شيرازي (الروضة الصينية)؛ أجزاؤه الشمالية على الواجهة البحرية تظهر إلى اليسار. إلى يسار ذلك أيضاً يقوم البرج الجنوبي الطويل على الواجهة البحرية لباغ جهان آرا (باغ الزهراء).

المصدر: تصوير إيبا كوش عام ١٩٨٦.

أسف بابُر للافتقار إلى الينابيع الجارية والجداول التي لا يُستغنى عنها لمثل هذا المشروع، واستصعب التصالح مع فكرة الإفادة من نهر جَمُنا البطيء الجريان والأرض المحيطة به(١٦).

وبعد التغلب على شكوكه، أنشأ الحديقة المغولية الفطريّة في أغرا، التشرباغ، التي تدعى أيضاً باغ هشت بِهِشت، على الضفّة اليسرى لنهر جَمُنا، مقابل حصن

= and Joachim Wolschke-Bulmahn, eds., *Mughal Gardens: Sources, Places, Representations, and Prospects* (Washington, DC: Dumbarton Oaks Research Library and Collection, 1996), pp. 31-58 and 59-94.

ويتعقّب ولش الحدائق السلطانيّة وصولاً إلى القرن الرابع عشر فقط ولا يضمّ حدائق اللوديين، أسلاف بابُر المباشرين.

(١٦) Babur-Nama Babur: *Memoirs of Babur*, pp. 531-532, and *The Baburnama: Memoirs of Babur, Prince and Emperor*, translated and edited by Wheeler M. Thackston (New York: Oxford University Press, and Washington, DC: Smithsonian Institution, 1996), pp. 359-360.

اللوديين والمدينة القائمة[١٧]. ثم أنشأ خلفاؤه حدائق «على نمط صروح خراسان»، كما يخبرنا زين خان، مرافق بابُر[١٨]. وقد أطلق سكّان أغرا على المنطقة ذات الحدائق الجديدة «كابل»، وذلك يبيّن أنّهم اعتبروا تطوّر الضفّة اليسرى للنهر جديداً وغريباً[١٩].

هكذا أبرز إحياء بابُر مطلّ النهر أهميّةَ التخطيط المدني في هندستان، وكان له أيضاً تأثير حاسم في تصميم الحدائق المغوليّة في السهول؛ وهو أدّى إلى إنشاء الحديقة المطلّة على النهر كوحدة نسقيّة للمدينة المطلّة على النهر[٢٠] (انظر الرسم الرقم (٣ ـ ٢٣)).

استأنف أكبر (ح ١٥٥٦ ـ ١٦٠٥) تطوير أغرا كمدينة مطلّة على النهر. وكان همايون قد اختار دلهي مقرّاً لإقامته واعتزم بناء مدينة جديدة هناك، لكن جرى التخلّي عن الخطّة بسبب نفيه إلى إيران. عام ١٥٥٨ نقل أكبر بلاطه إلى أغرا ثانية ونمّى حجم المدينة وثروتها وقوّتها. ويخبرنا مؤرّخه أبو الفضل أنّ «المنازل وزّعت على الوجهاء» وأنّ «عمّال البلاط على ضفّتي النهر أقاموا منازل جميلة وحدائق غنّاء»[٢١].

وعندما تولّى جهانغير الحكم، اكتمل تطوير مخطّط المطلّ النهري. وفي عشرينيّات القرن السابع عشر، لاحظ التاجر الهولنديّ فرانسيسكو بلسارت أنّ «عرض المدينة ليس كبيراً بقدر طولها لأنّ الجميع يحاولون الاقتراب من ضفّة النهر، وبالتالي فإنّ القصور المكلفة لكل الوجهاء المشهورين تشغل حافّة النهر، وهو ما يجعلها تبدو زاهية ورائعة»[٢٢].

---

(١٧) اتّبع الباحثون من أمثال: Abdul Aziz, «The City of Agra at the Beginning of Shah Jahan's Reign,» pp. 132-135, and Gupta, *Urban Glimpses of Mughal India: Agra: The Imperial Capital (16th and 18th Centuries)*, p. 12 أبا الفضل الذي يقول إنّ قلعة اللوديين كانت على الجانب الشرقيّ من النهر وذلك خطأ واضح لأنّ بابُر يبلغنا أنّه انطلق من قلعة اللوديين التي اتخذها مقراً له لعبور النهر لإيجاد مكان لحديقته، وحدائق أتباعه.

(١٨) Zayn Khan, *Tabaqat-i Baburi*, translated by Sayyid Hasan Askari, annotiation by B. p. Ambastha (New Delhi: Idarah-i Adabiyat-i Delli, 1982), p. 160f.

(١٩) Babur: *Memoirs of Babur*, p. 532.

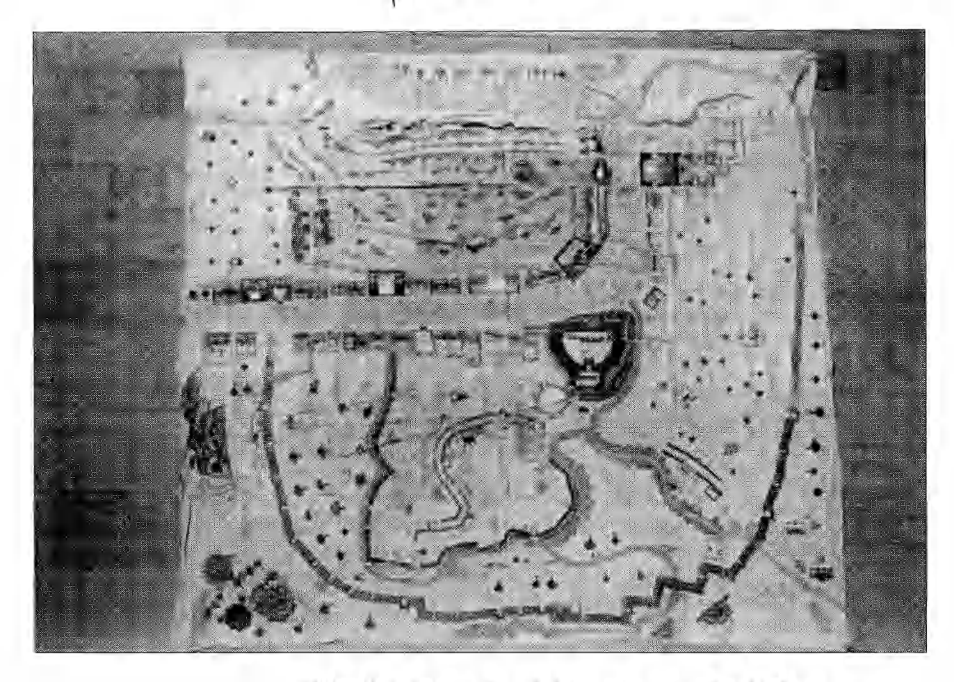
(٢٠) للاطلاع على ذلك، انظر: Koch, *Mughal Architecture: An Outline of Its History and Development (1526-1858)*.

(٢١) Shaykh Abu'l Fazl 'Allami, *Akbar-nama*, translated by H. Beveridge, 3 vols., 2nd ed. (Delhi: Ess Ess Publications, 1979), vol. 2, pp. 117-118 and 187-188.

(٢٢) Jahangir's India, *The Remonstrantie of Francisco Pelsaert*, translated by W. H. Moreland and p. Geyl (Delhi: Idarah-i Adabiyat-i Delli, 1972), pp. 2ff.

ورأى بلسارت أنّ «فخامة البساتين في كل الأنحاء تجعل المدينة تبدو حديقة ملكيّة أكثر منها مدينة». وقد أورد ٣٣ حديقة مع أسمائها، ثلثها تقريباً أنشئت أو أعيد تصميمها أثناء حكم جهانغير.

الرسم الرقم (٢٣ ـ ٣)
خريطة أغرا، على قماش قطن تعود لعام ١٧٢٠ بألوان مائية، ٢٩٤ × ٢٧٢ سم



المصدر: متحف المهراجا ساواي مان سينغ الثاني، جايبور، اللوحة رقم ١٢٦.

بعد أن تسلّم شاه جهان الحكم، أطلق على أغرا اسم أكبر أباد، أي «مدينة أكبر»[٢٣]، تكريماً لجدّه المبجّل. وفي عهده أصبحت الحديقة المخطَّطة المطلّة على النهر أو الحديقة المطلّة على الماء الشكل السكنيّ الأوسع استخداماً. وقد عبّر محمد صالح كانبو، مؤرّخ شاه جهان، عن الانطباع الذي تركته أغرا لدى المعاصرين:

(٢٣) Muhammad Amin Qazwini or Amina-i Qazwini, *Padshah-nama*, Persian ms., British Library, Oriental and India Office Collections (henceforth quoted as BL OIOC), Or. 173 fol. 143a/refoliated 144a; Lahawri, *Badshah-nama*, vol. 1 part 2, p. 156, and Abdul Aziz, «The City of Agra at the Beginning of Shah Jahan's Reign,» p. 136.

«على ضفّتي النهر البهيج تصطف عمارات وحدائق المكان الفردوسيّ جنباً إلى جنب، فتبعث السرور في قلب الناظر إليها وهو يجمع أزهار شهر الربيع. وتبدو حدائق الأزهار أمام العمارات المطلّة على النهر كأنّ بعضها متّصل ببعض دون انقطاع، فتمحو من الذاكرة الرغبة في المشي في الجنّة... وتعطي العمارات الواسعة والمقصورات الرائعة للأمراء ذوي الأصل الكريم والأمراء المشهورين... مظهر جنّة رضوان وقصور الجنّة»[(٢٤)].

ويؤكّد الرحالة الفرنسيّ دي تيفينو الذي زار الهند عام ١٦٦٦ ـ ١٦٦٧ أنّ مخطّط حافّة النهر شكّل مركز المدينة:

«يترافق هذا القصر [قلعة أغرا] مع خمسة وعشرين أو ثلاثين قصراً واسعاً، تصطفّ كلها جنباً إلى جنب، وتعود إلى الأمراء وأسياد البلاط الكبار. وهي تقدّم معاً أمتع المناظر للناظرين على ضفّة النهر الأخرى، وكان يمكن أن يبعث المشهد على مزيد من السرور لولا جدران الحدائق المرتفعة، وهي تساهم في جعل المدينة طويلة جدّاً. وثمة قصور عديدة وعمارات أخرى أصغر في الصف نفسه. الكل يرغب في الاستمتاع بالمشهد الرائع والراحة التي تبعثها مياه نهر جَمُنا، ويسعى لشراء أرض على تلك الضفّة، وهو السبب الذي جعل المدينة طويلة جدّاً ولكن ضيّقة. وكل الشوارع في المدينة ضيّقة وغير متناظرة، باستثناء بعض الشوارع المستقيمة فيها»[(٢٥)].

تطوّرت مخطّطات عمرانيّة مشابهة في عاصمتي إمبراطوريّتين إسلاميّتين أخريين: في إسطنبول العثمانيّة، حيث اصطفّت الفيلّات الملكيّة وغير الملكيّة ذات الحدائق على طول البوسفور؛ وفي أصفهان الصفويّة في القرن السابع عشر حيث أنشئت المساكن ذات الحدائق على ضفاف نهر زايِنْدِه رود. غير أنّ أغرا في تخطيطها المنهجيّ المتشدّد، الذي نلحظ فيه منطقاً مغوليّاً خاصّاً، تختلف عن هذه المخطّطات التقليديّة المطلّة على الماء. وفي العاصمة المغوليّة الأخرى الكبرى، لاهور، لم يتحقّق المخطّط المطلّ على الماء إلا جزئيّاً، وجرى التخلّي عنه في شاه جهان أباد.

كما أنّ أغرا المغوليّة مختلفة لأنّ مخطّط الضاحية المطل على النهر شكّل هنا نواة المدينة، وكان مجمل النسيج العمرانيّ المتبقّي موجوداً إلى غربها. لم يقرّ بذلك العلماء

---

(٢٤) Muhammad Salih Kanbo, *Bahar-i Sukhan*, Persian ms, BL, OIOC, Or. 178, fols. 248a and b, as translated in: Koch, *Gardens in the Time of the Great Muslim Empires: Theory and Design*, p. 143, Reprint in: Koch, *Mughal Art and Imperial Ideology*, pp. 194-195.

(٢٥) *The Travels of Monsieur de Thevenot, The Third Part: Containing the Relation of Indostan, the New Moguls, and of Other People and Countries of the Indies* (London: [n. pb.], 1687), p. 34.

السابقون الذين رأوا أنّ الضفّة اليمنى تشكّل جزءاً من المدينة فقط وأنّ الضفّة اليسرى هي الضواحي[٢٦].

واتخذ شاه جهان أيضاً مبادرات لتطوير ما تبقّى من أغرا؛ ففي عام ١٦٣٧ أمر بإنشاء سوق (لم تعد قائمة اليوم) وفق مخطّط مثمّن غير منتظم (شكل يسمّيه المغول مثمّن بغداد) كرابط منظّم بين قلعة القصر، قلعة أغرا، والمسجد الجامع (١٦٤٣ ـ ١٦٤٨) إلى غربها، برعاية ابنته جهان آرا. وكانت الساحة المثمّنة التي تحيط بها أضلاع المثمّن بمثابة فناء للقصر، وينتقد هذا الغياب لساحة التجمّع اليوم، في وقت يتعاظم إدراك أهميّة الاحتفالات كأحد عيوب قصر أغرا، وكان ذلك في نهاية المطاف أحد الأسباب الرسميّة لإنشاء مدينة شاه جهان أباد[٢٧]. بُني المسجد بدلاً من مسجد أقدم أقيم على ضفّة نهر جَمُنا، لكن توقّف إنشاؤه عندما أعطي مشروع تاج محلّ الجديد الأولويّة[٢٨]. وأدّى هذا التوقّف إلى تغيير موقع المسجد. وربما اعتُقد أنّ وجود منشأة دينيّة منعزلة لا يتلاءم مع مخطّط الحدائق السكنيّة المطلّة على الماء، وبخلاف ذلك يبقى المسجد الذي يشكّل جزءاً من مجموعة تاج محلّ المطلّة على النهر بدون منافس. وقد دُمّر عدد كبير من المساكن لتوسيع الطريق المؤدّي إلى المسجد الجامع الجديد[٢٩].

لكن حتى بعد إكمال المشروع، ظل محور اهتمام المدينة منصبّاً على المخطط المطلّ على النهر. ولم يجد المراقبون، مثل ثيفنو الذي كان موجوداً في أغرا بعد اكتمال السوق المثمّن والمسجد، شيئاً يستحقّ الذكر بعيداً من النهر.

قدّمت أغرا نفسها كمدينة مطلّة على نهر، مثل لندن أو باريس، لكنها عبّرت عن ذلك بطريقتها الخاصة. كانت مجموعات من القصور، التي تعلو الأبراجُ على جوانبها وتحيط بها الحدائقُ ذاتُ الأزهار والأشجار، تصطفّ على ضفّتي نهر جَمُنا. وكان الاتصال بين الحدائق يتمّ بالقوارب، وكانت الرحلة بالقارب في النهر على طول واجهات الحدائق المرتبة ترتيباً أنيقاً تعدّ تجربة رائعة حقّاً.

---

(٢٦) Gupta, *Urban Glimpses of Mughal India: Agra: The Imperial Capital (16th and 18th Centuries)*, pp. 19, 24 and 69.

(٢٧) Lahawri, *Badshah-nama*, vol. 1, part 2, pp. 251-52, and 'Inayat Khan, *Shah Jahan Nama*, translated by A. R. Fuller, revised and edited by Wayne E. Begley and Z. A. Desai (New Delhi: Oxford University Press, 1990), pp. 205-206.

(٢٨) Kanbo, *'Amal-i Salih or Shah Jahan-nama*, vol. 2, p. 193.

(٢٩) انظر: المصدر نفسه.

ثالثاً: إعادة إنشاء مخطّط حافّة النهر

لم يتبقّ اليوم سوى بضع حدائق من أغرا المغوليّة. وتوجد معظمها منعزلة بعضها عن بعض، بعد أن فقدت إطارها المديني الأصليّ. لكنّها خرِبة إلى حدّ كبير مع بعض الاستثناءات، وتستخدم تبعاً لموقعها، للزراعة أو البناء عليها بعد أن طغت عليها المنشآت اللاحقة للمدينة.

يمكن إعادة إنشاء مخطّط الحدائق المطلّة على الماء في المدينة بمساعدة السجلات المغوليّة والأوروبيّة وخريطة كبيرة مرسومة على القماش موجودة في متحف المهراجا ساواي مان سينغ الثاني في قصر جايبور[٣٠]. وقد أعدّت في عشرينيّات القرن الثامن عشر عندما عيّن الإمبراطور المغوليّ محمد شاه (ح ١٧١٩ ـ ١٧٤٨) المهراجا ساواي جاي سينغ من جايبور (١٦٩٩ ـ ١٧٤٣) حاكماً على إقليم أغرا، الذي عيّن بدوره راي شيواداسا نائبه على المدينة[٣١].

كان المهراجا ساواي جاي سينغ يخطّط في ذلك الوقت مدينته الجديدة في جايبور ويبنيها[٣٢]، ومن الواضح بالنسبة إلى الدراسات المعاصرة، أنّه أمر راي شيواداسا بإعداد خرائط للعاصمة القديمة للإمبراطورية المغوليّة وخطط للعمارات البارزة فيها.

---

(٣٠) مخطط رسم ١٢٦، يبلغ حجم المخطّط المرسوم على قطعة قماش ٢٩٤ × ٢٧٢ سم. وقد درستها في أواسط الثمانينيّات، انظر: Ebba Koch: «The Zahara Bagh (Bagh-i Jahanara) at Agra,» *Environmental Design*, no. 2 (1986), pp. 30-37; «The Mughal Waterfront Garden;» M. C. Beach, E. Koch and W. Thackston, *King of the World: The Padshahnama: An Imperial Mughal Manuscript from the Royal Library, Windsor Castle* (London: Azimuth Editions and Washington, D C: Arthur M. Sackler Gallery, Smithsonian Institution, 1997), cat. nos. 29, pp. 185-87, cat. no. 45, pp. 209-10, fig. 132.

وأشكر ب. م. جاواليا، القيّم على المخطوطات، لمساعدتي في قراءة الكتابات على المخطّط في تموز/ يوليو ١٩٨٥ وشباط/ فبراير ١٩٨٦، والدكتور آسوق كومار داس، مدير متحف المهراجا ساواي مان سينغ الثاني في ذلك الوقت على إذنه بدراستها ونشرها.

(٣١) Lalah Sil Chand, *Tafrih al-ʿImarat*, compiled for James Stephen Lushington, Acting Collector, Agra, 1825-26, BL OIOC Persian ms Or 6371, copied for James Davidson, Sessions Judge, Agra, 1836-37, BL, OIOC Persian ms. I.O.L. 2450, fol. 97b; V. S. Bhatnagar, *Life and Times of Sawai Jai Singh, 1688-1743* (Delhi: Impex India, 1974), pp. 162-163; Chandramani Singh, «Early 18th-Century Painted City Maps on Cloth,» in: *Facets of Indian Art* (London: Victoria and Albert Museum, 1986), pp. 185-192, and S. Gole, *Indian Maps and Plans: From the Earliest Times to the Advent of European Surveys* (New Delhi: Manohar, 1989), pp. 200-201.

(٣٢) Bhatnagar, Ibid., p. 331; Singh, «Early 18th-Century Painted City Maps on Cloth,» pp. 190-192; G. N. Bahura and C. Singh, *Catalogue of Historical Documents in Kapad-Dwara, Jaipur, Part II: Maps and Plans* (Jaipur: [n. pb.], 1990), p. 11, and V. Sachdev and G. Tillotson, *Building Jaipur: The Making of an Indian City* (New Delhi: Oxford University Press, 2002).

تشكّل خريطة جايبور أساس إعادة إنشاء أغرا المغوليّة؛ فهي تبيّن التمثيل المنهجيّ لحدائقه وعماراته. وقد رأى واضع الخريطة أن الحدائق المطلّة على الماء خاصّة جدّاً بالمنظر المديني، بحيث إنّه عرض التشرباغات المخطّطة تخطيطاً مركزيّاً بهذه الطريقة، مثل حديقة ضريح اعتماد الدولة. أعطيت الأسماء في مخطوط ديواناغاري، بتهجئة خاطئة في الغالب، بسبب استخدام كلمة باغ الفارسية (أي حديقة) للحدائق السكنيّة على الضفّة اليسرى لنهر جَمُنا، ومصطلح «حويل» بالعربية (المنزل ذي الفناء) للأماكن السكنيّة ذات الحدائق على الضفّة اليمنى للنهر.

وكان هناك تفريق بين أنواع المنازل المطلّة على النهر، فكانت الضفّة اليسرى تتميّز بسمة الضواحي أكثر من الضفة اليمنى، حيث كانت تسود المنازل ذات الفناءات الداخليّة. وتستخدم الكلمة العربيّة روضة أو مقبرة لحدائق الأضرحة. وتحمل معظم حدائق الخريطة أسماء أفراد الأسرة الإمبراطوريّة والأمراء ذوي المناصب العليا في عهد جهانغير وشاه جهان. وكانت تشغل الضفّة اليسرى من النهر، مع بعض الاستثناءات، حدائق الإمبراطور وزوجاته، في حين كانت الضفّة اليمنى المقابلة للمدينة مخصّصة للأمراء والوجهاء. وقد شكّلت الحدائق فضلاً عن الحويلات والمنازل ذات الأفنية مقارّ إقامة الأمراء والوجهاء عندما كان البلاط موجوداً في أغرا.

رابعاً: تأثير ملكيّة الأراضي
في رعاية الوجهاء المغول للعمارة

كان الوجهاء المغول أو أصحاب المناصب يخضعون لقيود كبيرة في حقوق الملكيّة والتوريث إلى الورثة. ولم يكن لديهم قاعدة في الأرض، بل كانوا يستمدّون سلطتهم من مناصبهم التي تحدّد قوّتهم العسكريّة، وتتوقف على الإمبراطور بوجه تامّ. وقد سُمح لهم كقاعدة بتملّك الأرض مؤقتاً، حتى لو خص الأمر الأسرة الإمبراطوريّة. وكان الراجبوت الهنود الذين شاركوا في الإدارة في موقع أفضل من الوجهاء المسلمين، إذ كان في وسعهم عادة الاحتفاظ بأراضي أسلافهم وإقامة قصور كبيرة عليها. وكان لممارسة انقطاع الميراث تأثير كابح في الرعاية غير الإمبراطوريّة للعمارة.

وقد لاحظ المراقبون الأوروبيّون ذلك، ومنهم السير توماس رو، مبعوث جيمس الأوّل إلى البلاط المغوليّ بين عامي ١٦١٥ و١٦١٩، حيث أشار إلى أنّ «رجاله [أي

رجال الإمبراطور المغوليّ] الكبار لم يكونوا يبدون رغبة في التوريث»[٣٣]. فبعد وفاة مالك الأرض المؤقّت، يُدمج القصر أو الحديقة في الأملاك الإمبراطوريّة. وإذا لم يحتفظ الإمبراطور بالعقار لنفسه، يعطى إلى فرد آخر في الأسرة الإمبراطوريّة أو إلى وجيه آخر. ويعيد المالك بعد ذلك تشكيل المبنى و/ أو الحديقة. وبالتالي يمكن أن ينتقل قصر أو حديقة الوجيه المغوليّ إلى سلسلة من الملّاك.

في المقابل سُمح للراجبوت بامتلاك عقارات يمكن توريثها. كانت ملكيّة قطعة الأرض التي يريدها شاه جهان لإنشاء تاج محلّ تعود إلى عائلة كاتشواها راجات مملكة عنبر منذ وفاة الراجا مان سينغ (ت ١٦١٤). وكانت عشيرة كاتشواها أول أسرة راجبوت تتعاون مع المغول في أثناء حكم أكبر. حرص شاه جهان على الحصول على الأرض بشكل قانونيّ صحيح من ميرزا راجا جاي سينغ (ت ١٦٦٧)، حفيد مان سينغ، بإعطائه أربعة قصور في مقابلها من أراضي التاج في أغرا[٣٤].

وقد استثنيت الأضرحة من هذه الأنظمة، وبالتالي أصبح من أنواع المباني المفضّلة لدى الوجهاء أو ذوي المناصب المسلمين، إلى جانب منشآت المصلحة العامّة، مثل الخانات والحمّامات والمساجد، التي يستطيع الراعي أن يصنع عن طريقها لنفسه اسماً ويضمن مرضاة الله في الآخرة. وقد لاحظ فرانسيسكو بلسارت، الوسيط التجاريّ الكبير في شركة الهند الشرقيّة الهولنديّة الذي كان موجوداً في أغرا بين عامي ١٦٢١ و١٦٢٧، المزايا الخاصّة للرعاية التي أولاها الوجهاء المغول للمنشآت المعماريّة، وأبلغ قرّاءه بأنّ «الوجهاء الكبار هنا يفوقون النبلاء لدينا عظمة، لأنّ حدائقهم تستخدم للمسرّة أثناء حياتهم، وتؤوي بعد الوفاة أضرحتهم التي يبنونها في حياتهم بعظمة كبيرة في وسط الحديقة»[٣٥].

ويبدو أنّه تمّ التخلّي في أغرا عن الممارسة المعتادة باستعادة الحدائق من الوجهاء بعد وفاتهم ومنحها إلى ملّاك مؤقّتين عندما نقل شاه جهان مقرّ حكمه إلى عاصمته الجديدة شاه جهان أباد في دلهي. ويبدو أنّ القسم الأكبر من الحدائق في أغرا بقي

---

(٣٣) Thomas Roe, *The Embassy of Sir Thomas Roe to India, 1615-1619*, edited by William Foster (London: Oxford University Press, 1926; New Delhi: Munshiram Manoharlal, 1990), p. 105.

(٣٤) Lahawri, *Badshah-nama*, vol. 1, pp. 402-403, and W. E. Begley and Z. A. Desai, trans., *Taj Mahal: The Illumined Tomb: An Anthology of Seventeenth-Century Mughal and European Documentary Sources* (Cambridge, MA: The Aga Khan Program for Islamic Architecture, 1989), pp. 41-44 and 168-171.

(٣٥) India, *The Remonstrantie of Francisco Pelsaert*, p. 5.

لدى عائلات الملّاك الأخيرين، أو أنّها احتفظت بأسمائها على الأقل. كما بنى العديد من الوجهاء أضرحتهم في حدائقهم، وبالتالي احتفظت عائلاتهم بالأرض التي كانت بخلاف ذلك تعود إلى التاج بعد وفاة مالكها المؤقّت. وقد غيّر ذلك الميزة السكنيّة للمشهد العمرانيّ. وبرزت الأهميّة الكبرى للأضرحة ببناء تاج محلّ على عقار سكنيّ سابق. ومع ذلك، تقدّم خريطة جايبور التي أعدّت في عشرينيّات القرن التاسع عشر صورة تقريبيّة فعليّة عن أغرا في زمن شاه جهان، وتدعمها مصادر من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

خامساً: الحدائق المطلة على النهر

يوجد خمس وأربعون حديقة (باغ) مطلّة على النهر وفقاً لخريطة جايبور (انظر الرسم الرقم (٢٣ ـ ٤)). لن نبحث هنا إلا الحدائق التي حُفظت، إلى حدّ ما على الأقل[٣٦] (انظر الرسم الرقم (٢٣ ـ ٥)).

١ ـ حدائق الضفّة اليسرى

تحفظ الضفّة اليسرى لنهر جَمُنا خاصيّة المشهد المديني الأصليّ لأغرا المغوليّة كمدينة حدائق مطلة على النهر إلى حدّ كبير، وهي المنطقة التي طوّرها بابُر وخلفاؤه أولاً بإنشاء الحدائق. تشغل المنطقة الشرقيّة اليوم ما تبقّى من الحدائق المغوليّة إضافة إلى المشاتل التجاريّة، وتشغل الحقول الزراعيّة المنطقة الشماليّة، بعد انعطاف نهر جَمُنا. وعند حافّة النهر يمكن تتبّع بقايا الحدائق المغوليّة القديمة ضمن المزروعات. ويشير ترقيم الحدائق إلى الحديقة في الرسم الرقم (٢٣ ـ ٤).

أ ـ بولاند باغ (الحديقة العالية) (محفوظة بشكل جزئي)

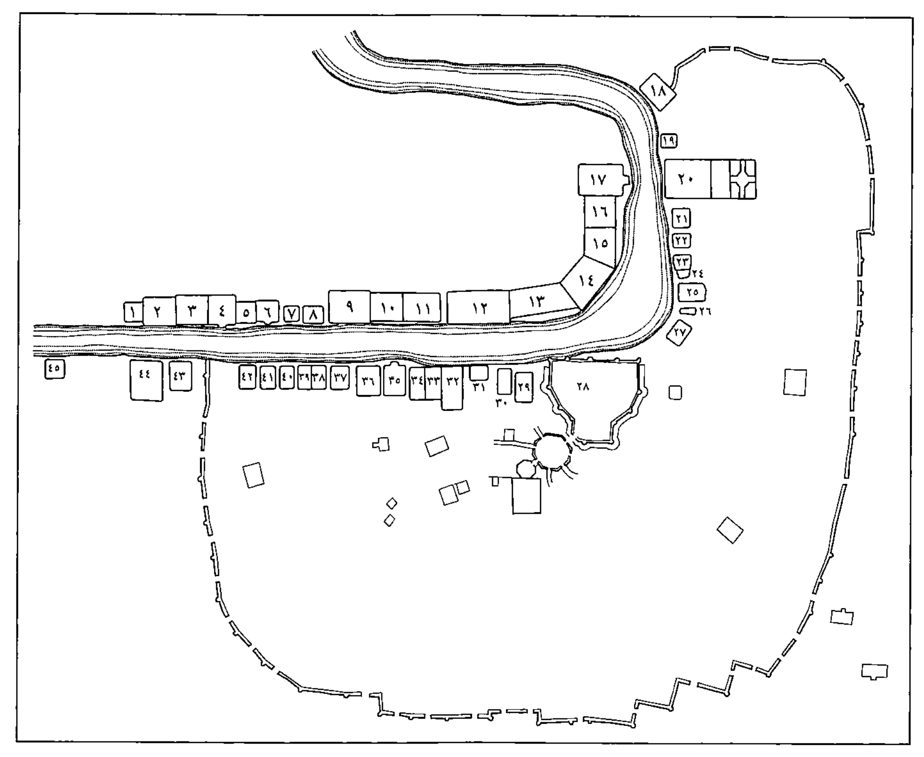
تعزى الحديقة تقليدياً إلى بولاند خان، أو ساربولاند خان، وهو بخلاف ذلك من خصيان جهانغير. من أبرز بقايا بولاند باغ برج مرتفع يدعى باتيس كامبا، وهو يستخدم اليوم كمشتل ويبدو برج مماثل في مشهد لحافّة النهر ربما يظهر أغرا أيضاً كخلفيّة للوحة تدعى «وجيه مع موسيقيّين» من أواخر القرن السابع عشر، في مجموعة هوارد هودكين (انظر الرسم الرقم (٢٣ ـ ٦)).

---

(٣٦) للحصول على معالجة أكمل، انظر الفصل الأول من دراستي «Taj Mahal».

الرسم الرقم (٢٣ ـ ٤)

رسم لخطوط خريطة أغرا مع ترقيم حدائق الواجهة البحرية



١ ـ باغ شاه نواز خان.
٢ ـ بولاند باغ.
٣ ـ باغ نور أفشان (رام باغ اليوم).
٤ ـ باغ جهان آرا (باغ الزهراء اليوم).
٥ ـ حديقة من دون اسم.
٦ ـ روضة أفضل خان (الروضة الصينيّة اليوم).
٧ ـ باغ خوجة محمد زكريا أو باغ وزير خان.
٨ ـ باغ سلطان برويز.
٩ ـ ضريح اعتماد الدولة.
١٠ ـ باغ موسوي خان صدر.
١١ ـ باغ بادشاه (الحديقة الإمبراطوريّة).
١٢ ـ موتي باغ بادشاه.
١٣ ـ باغ بادشاه.
١٤ ـ لال باغ بادشاه.
١٥ ـ تشرباغ بادشاه الثانية.
١٦ ـ تشرباغ بادشاه (حديقة بابُر الأولى في أغرا، وتدعى تشهار باغ أو باغ هشت بِهِشت).
١٧ ـ باغ مهتاب بادشاه (مهتاب باغ اليوم).
١٨ ـ حويل خان داوران.
١٩ ـ حويل آغا خان.
٢٠ ـ روضة شاه جهان.
٢١ ـ باغ خان علم.
٢٢ ـ حويل أصالة خان.
٢٣ ـ حويل مهابة خان.
٢٤ ـ حويل هوشدار خان.
٢٥ ـ حويل عزّام خان.
٢٦ ـ حويل مغول خان.
٢٧ ـ حويل إسلام خان.
٢٨ ـ بادشاه قلعة (قلعة أغرا).
٢٩ ـ حويل دارا شِكوه.
٣٠ ـ حويل خان جهان لودي.
٣١ ـ حويل حافظ خدمتغار (منطقتان مسوّرتان).
٣٢ ـ حويل عساف خان.
٣٣ ـ حويل عَلَمغير.
٣٤ ـ حويل عَلَمغير.
٣٥ ـ مسجد مبارك منزل.
٣٦ ـ حويل شايستا خان.
٣٧ ـ حويل جعفر خان.
٣٨ ـ روضة شايستا خان.
٣٩ ـ حويل وزير خان.
٤٠ ـ حويل مقيم خان.
٤١ ـ حويل خليل خان.
٤٢ ـ باغ راي شيف داس.
٤٣ ـ باغ حكيم كاظم علي.
٤٤ ـ روضة جعفر خان.
٤٥ ـ شاتري (مقصورة ضريح) جاسوانت سينغ.

الرسم الرقم (٢٣ ـ ٥)

خريطة أغرا وهي تشير إلى المباني المغولية التي جرى الحفاظ عليها على الواجهة البحرية

المصدر: رسم ريتشارد أ. بارّود وإيبا كوش.

الرسم الرقم (٢٣ ـ ٦)
منظر لمدينة ذات واجهة نهرية (أغرا؟)، الخلفية لأحد النبلاء مع موسيقيين



المصدر: من مجموعة هوارد هودكين.

ب ـ مجمّع المرافق العامّة (محفوظ لكنّه خرِب)

يوجد بين بولاند باغ ورام باغ بقايا مجمّع معماريّ مستطيل غير محدد في خريطة جايبور. وهو يتكوّن من شارع مفتوح على جانبيه صفوف من الحجرات التي يتقدّمها إيوان. وتوجد بوّابة على الجانبين الشرقيّ والغربيّ. كان هذا النوع من المنشآت يستخدم للأسواق، ولا بدّ أنّه كان يخدم الحدائق المجاورة بهذه الصفة.

ج ـ باغ نور أفشان (الحديقة الناثرة للضوء) أو رام باغ (محفوظة)

تعرف الحديقة اليوم باسم رام باغ أو أرم باغ، لكنّ اسمها الأصليّ باغ نور أفشان وهي تظهر بهذا الاسم في خريطة جايبور وفي أوصاف أغرا في القرن التاسع عشر[٣٧].

(٣٧) Sil Chand, *Tafrih al-'Imarat*, fols. 119b-29b; Raja Ram, *Tamirat Agra*, written in Persian «A Few Years» before the mutiny [1857-1858]» and translated by S. Abu Muhammad under the title «The Gardens of Agra,» *Journal of the United Provinces Historical Society*, vol. 4, no. 1 (1928), p. 17, he attributes the buildings wrongly to Raja Jawahir Singh of Bharatpur; A. C. L. Carlleyle, «Agra,» in: *Archaeological Survey of India Report* (1871-1872), p. 199; A. Führer, *The Monumental Antiquities and* =

ومن المألوف استخدام المكوّن نور الوارد في اسم الحديقة في منشآت جهانغير وزوجته الملكة نور جهان، وهو يلمح، كما يبلغنا هو بنفسه إلى لقب جهانغير التكريميّ نور الدين واللقب الذي منحه إلى زوجته نور جهان (نور العالم)(٣٨).

من الواضح أنّ الطراز المعماري لباغ نور أفشان يرجع إلى زمن جهانغير ويشهد على الرعاية التي أولتها نور جهان كمنشئة بارزة للحدائق. ومن منشآتها الأخرى في أغرا ضريح اعتماد الدولة (٩) الذي دُفن فيه والداها.

إنّ باغ نور أفشان هي من أوليات الحدائق المغوليّة المحفوظة في أغرا، وربما أنشئت على أسس حديقة أقدم بناها بابُر. تعرض الحديقة أقدم مخطّط باقٍ لحافّة الماء في أغرا، وهو يتكوّن من منطقة ذات مصاطب محاذية للنهر، وحديقة في الجانب المواجه للبرّ، بالرغم من أنّ التشكيل لا يزال غامضاً ولا يظهر الشكل المخطّط المتناظر الذي اتسمت به الأمثلة الشاهجانيّة اللاحقة. ولم تنشر أي وثيقة مفصّلة عن الحديقة، وتعود المخطّطات التقريبيّة لتصميمها العامّ إلى مخطّط بريطانيّ من عام ١٩٢٣ يشير إلى زراعتها بأشجار مثمرة(٣٩). وقد أعددت مخطّطاً لمقصوراتها عام ١٩٨٦(٤٠)، ومخططاً شاملاً عام ٢٠٠٢(٤١).

تتألّف مباني الحديقة على المصطبة من مقصورتين مستطيلتين ضيّقتين واجهتهما القصيرة باتجاه النهر. وهما يشكّلان فناء مكشوفاً يضمّ بركة محفورة بينهما. وكانت جدران المقصورتين وقناطرهما المزيّنة بالنقوش مغطّاة أصلاً برسوم لحيوانات وأناس

= *Inscriptions in the North-Western Provinces and Oudh*, Archaeological Survey of India, New Imperial Series no. 12 (Varanasi; Delhi: Indological Book House, 1969), p 53.

وللحصول على ذلك ووصف للحديقة، انظر: Ebba Koch, «Notes on the Painted and Sculptured Decoration of Nur Jahan's Pavilions in the Ram Bagh (Bagh-i Nur Afshan) at Agra,» *Facets of Indian Art*, A symposium held at the Victoria and Albert Museum on 26, 27, 28 April and 1 May 1982, edited by Robert Skelton [et al.] (London: Victoria and Albert Museum, 1986), pp. 51-65, and Koch, *Taj Mahal: The Monument and the Riverfront Gardens of Agra.*

(٣٨) Jahangir, *Tuzuk-i Jahangiri or Jahangir nama*, translated by Alexander Rogers, edited by Henry Beveridge, 2 vols. (Delhi: Munshiram Manoharal, 1968), vol. 1, pp. 269-270, and vol. 2, pp. 75-76, 151, 192 and 226.

(٣٩) *A Complete Set of Site Plans of the Major Gardens of the United Provinces, Supplement to the Report on the Working and Administration of the United Provinces Government Gardens for the year 1923-1924* (Allahabad: Printed by the Superintendent Government Press, United Provinces, 1924), p. vi.

(٤٠) أجريتُ مسحاً للحديقة منذ سنة ١٩٧٨، للاطلاع على مخطّط المقصورات، انظر: Koch, «Notes on the Painted and Sculptured Decoration of Nur Jahan's Pavilions in the Ram Bagh (Bagh-i Nur Afshan) at Agra,» p. 52.

(٤١) انظر: Koch, *Taj Mahal: The Monument and the Riverfront Gardens of Agra.*

وكائنات مجنّحة وطيور، بما في ذلك طائر السيمورغ، وهي كلها ذات صلة بالرسوم السليمانيّة ومماثلة لزخارف قلعة لاهور(٤٢).

ويوجد في الدور السفلي غرفة كبيرة تحتيّة (تح خانة) مخصّصة لأشهر الصيف الحارّة. ولمعظم المقصورات المطلّة على النهر في أغرا غرف مماثلة تحت الأرض في المصطبة التي تقوم عليها. ويوجد إلى الشمال منصّة أخرى تحتها تح خانة أكبر كثيراً تضمّ مجموعة من الغرف، بما في ذلك الحمّام.

وعند حافّة النهر توجد آبار توفّر الماء للحديقة، وتبرز نهاياتها بأجنحة ذات أبراج مظللة عند الزوايا.

ولا تزال هيئة المسح الأثريّ الهنديّة تعنى بالحديقة الكبيرة، وهي إلى جانب ضريح اعتماد الدولة وتاج محلّ تنتمي إلى الحدائق المحفوظة حفظاً شديداً في المدينة.

د ـ باغ جهان آرا أو باغ الزهراء (محفوظة في أجزاء منها)

لم تنشئ الحديقةَ ابنةُ بابُر، كما كان يعتقد من قبل، وإنّما أنشأتها الملكة ممتاز محل، زوجة شاه جهان(٤٣). وهي المنشأة المعماريّة الوحيدة التي ترتبط برعايتها(٤٤). وبعد وفاتها عام ١٦٣١ انتقلت إلى ابنتها جهان آرا، وبمرور الزمن، تغيّر الاسم باغ جهان آرا ـ وكان لا يزال مستخدماً في القرن التاسع عشر ـ إلى باغ الزهراء (انظر الرسم الرقم (٢٣ ـ ٢)). وحولت جهان آرا ميراثها إلى أجمل قصر جنائني في أغرا، إذا ما صدّقنا أبو طالب كليم، شاعر بلاط شاه جهان، الذي منحها فضاء خاصّاً في قصيدته الوصفيّة المدحيّة للمدينة. ويقدّم عدد من أبياته معلومات عن تصميمها ونباتاتها ومؤسّسها:

الرحلة بالقارب تزيل الأسى من قلبك

---

(٤٢) Ebba Koch, «Jahangir and the Angels: Recently Discovered Wall Paintings under European Influence in the Fort of Lahore,» in: J. Deppert, ed., *India and the West* (New Delhi: Manohar, 1983), pp. 173-195, reprint in: Koch, *Mughal Art and Imperial Ideology*, pp. 12-37.

(٤٣) Abu Talib Kalim, *Diwan*, edited by Partaw Bayza'i (Tehran: Khayam, 1336h/1957m), pp. 350-351.

ويقول لاهوري إنّ شاه جَهان أنشأها عندما كان أميراً ومنحها إلى ممتاز عند اعتلائه العرش. انظر: Lahawri, *Badshah-nama*, vol. 2, p. 99.

(٤٤) Koch: «The Zahara Bagh (Bagh-i Jahanara) at Agra,» pp. 30-37, and Koch, *Mughal Architecture: An Outline of Its History and Development (1526-1858)*, p. 117.

لمعالجة كاملة عن الموضوع، انظر: Koch, *Taj Mahal: The Monument and the Riverfront Gardens of Agra.*

إذا مررت بالقرب من حديقة جهان آرا
في هذه الجنّة قصر جذّاب
يشدّك إلى مشاهدته
ويوجد في ثلاثة من جوانبه حديقة أزهار، والنهر من أمامه
ترى في كل موجة عقصة شعر جميلة
عندما رحلت سيّدة العالم، بلقيس هذا العصر
إلى الجنّة وغادرت مجلس سليمان (شاه جهان)
منحت الجنة التي أزهرت على يديها
إلى ابنتها الجميلة
كبرى بنات الملك المحبوبة، السيّدة المحجّبة المبجّلة
التي تذكّر بصاحبة الجلالة، الملكة(٤٥).

لم تكن الأسرة الإمبراطوريّة تتردّد وحدها على الحديقة، بل كان شاه جهان يستقبل فيها الحاشية والأعيان الأجانب أيضاً. وفي أيار/مايو ١٦٣٨ دعا الإمبراطور السفير الفارسيّ يادغار بك إلى باغ جهان آرا، وأمر في المساء بإضاءة الأنوار وإطلاق المفرقعات التي عُرضت على ضفّة نهر جَمُنا أسفل العِمارة(٤٦). وزار الأمير أورانغزب ابن شاه جهان، ووارث الملك بعد والده، شقيقته جهان آرا في حديقتها عندما توقّف في أغرا عام ١٦٥٢ لتفقّد أحوال تاج محلّ(٤٧).

لم يتبقّ اليوم سوى أجزاء من الحديقة، وهي لا تخضع لحماية هيئة المسح الأثريّ الهنديّة. وقد اتّبع التصميم واجهة الماء حيث تقوم العمارة الرئيسيّة على مصطبة تشرف على النهر(٤٨). ويمكن تمييز العمارة في صورة فوتوغرافية التقطها جون موراي في أوائل خمسينيّات القرن التاسع عشر(٤٩). ويعتبر برج الزاوية الجنوبية الغربيّة أفضل

---

(٤٥) أبيات منتقاة من: Mathnawi, «Praise of Akbarabad and the Bagh-i Jahanara,» in: Abu Talim Kalim, *Diwan*, pp. 346-351.

(٤٦) Lahawri, *Badshah-nama*, vol. 2, p. 99.

(٤٧) رسالة من أورانغزب يذكر فيها زيارته وقد قام بترجمتها في: Begley and Z. A. Desai, trans., *Taj Mahal: The Illumined Tomb: An Anthology of Seventeenth-Century Mughal and European Documentary Sources*, pp. 175-177.

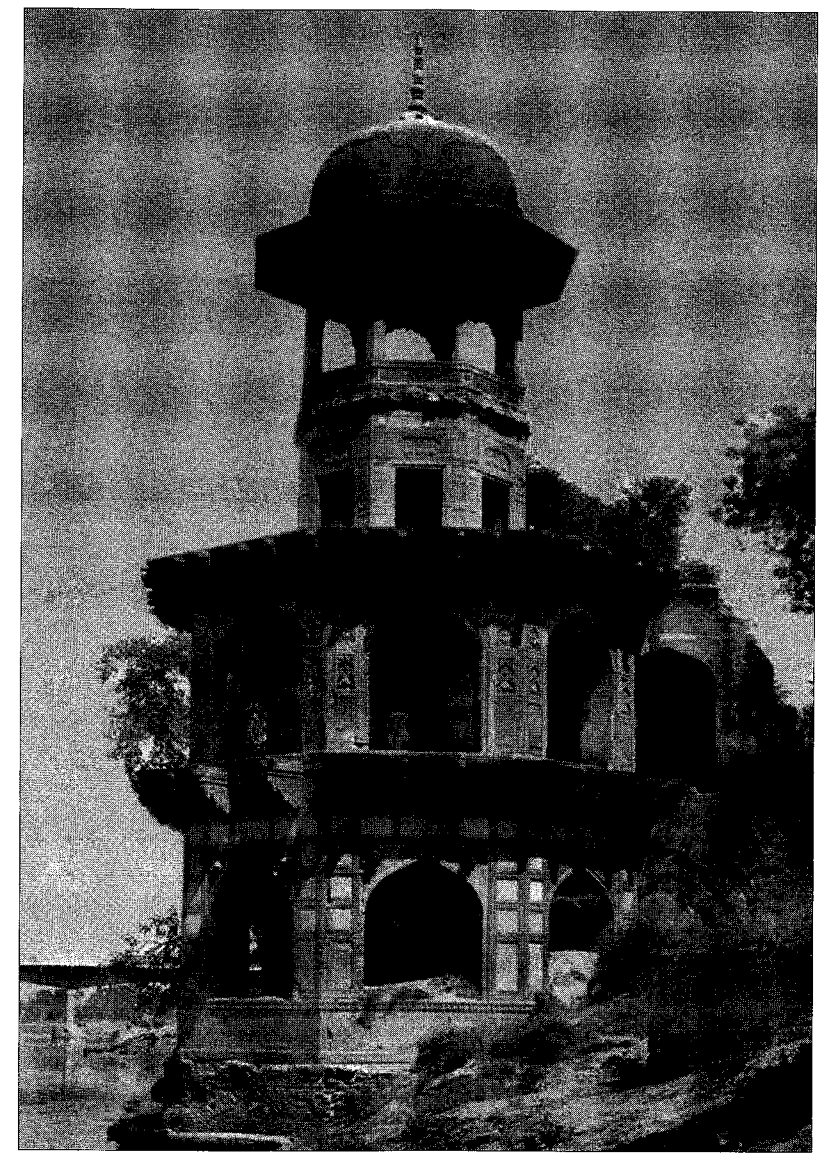
ولم يتعرّفوا إلى حديقة جهان آرا.

(٤٨) قمتُ بمسح الحديقة بشكل متكرّر منذ سنة ١٩٧٨ وأخذت مع بارّود مقاييس المنشآت المتبقّية في شباط/فبراير ٢٠٠١ وآذار/مارس ٢٠٠٣ ومن ذلك أعدّت خطّة المسح.

(٤٩) انظر: Koch, *Taj Mahal: The Monument and the Riverfront Gardens of Agra.*

العناصر المحفوظة في الحديقة ويشكّل مثالاً رائعاً على أبراج حدائق أغرا (انظر الرسم الرقم (٢٣ ـ ٧)).

الرسم الرقم (٢٣ ـ ٧)
برج باغ جهان آرا (باغ الزهراء)، ثلاثينات القرن السابع عشر ١٦٣٠



المصدر: الصورة من إيبا كوش.

هـ ـ روضة أو ضريح أفضل خان، يدعى الآن الروضة الصينيّة (المبنى محفوظ)

بنى الضريح الملا أفضل خان شيرازي، ويلقّب بالعلّامة أفضل خان شيرازي الذي خدم في عهد جهانغير، وتولّى في عهد شاه جهان منصب ديوان الكل (يسمّى أيضاً وزير الماليّة). توفّي أفضل خان عام ١٦٣٩ في لاهور، وأحضرت رفاته إلى أغرا لتدفن في الضريح الذي يقال إنّه بناه في أثناء حياته(٥٠) (انظر الرسم الرقم (٢٣ ـ ٢)).

وكان هذا الوجيه شقيق أمانت خان الذي ركّب النقوش الخطيّة المحفورة في تاج محلّ، والذي قدم معه إلى الهند. ومن المرجّح أيضاً أنّه وضع النصّ المنقوش على ضريح شقيقه، لكن لم تحفظ سوى أجزاء منه.

يستمدّ الضريح الذي فقد حديقته الأصليّة اسمه الشعبيّ من واجهته المزيّنة بفسيفساء مكوّنة من بلاط مزجّج على طريقة لاهور، وهو عنصر دخيل حقّاً على العمارة المغوليّة في أغرا(٥١).

يوجد القبر المكعّب على قاعدة ذات حجرات مقبّبة مغلقة الآن ومشيّدة بحسب خطّة هشت بهِشت، تضمّ بشتاكات (كوى مقوّسة في أطر مستطيلة) كبيرة في وسط كل جانب. وقد جرى ترميم الروضة الصينيّة عدّة مرّات، ولا سيّما البلاطة المواجهة للخارج والزخارف الداخليّة المرسومة التي فقدت الكثير من خصائصها الأصليّة(٥٢).

و ـ باغ خوجة محمد زكريا أو باغ وزير خان (المباني المطلّة على النهر محفوظة لكنّها خرِبة)

لا يمكن التحقّق من هويّة الحديقة يقيناً، لكن ربما كانت حديقة حكيم عليم الدين

---

(٥٠) Athar Ali, *The Apparatus of Empire: Award of Ranks, Offices and Titles to the Mughal Nobility* (Delhi: Oxford University Press, 1985), pp. 167, S 2326; Samsam Al- Dawla Shah Nawaz Khan, *Ma'athir al-Umara*, edited by 'Abd al-Rahim and M. Ashraf 'Ali, 3 vols. (Calcutta: Asiatic Society, 1887-1896), pp. 191-214.

(٥١) يوجد وصف لعمارة الضريح في: E. W. Smith, *Moghul Colour Decoration of Agra, Archaeological Survey of India*, New Imperial Series; 30 (Allahabad: Superintendent Government Press, North Western Provinces and Oudh, 1901), pp. 3-17.

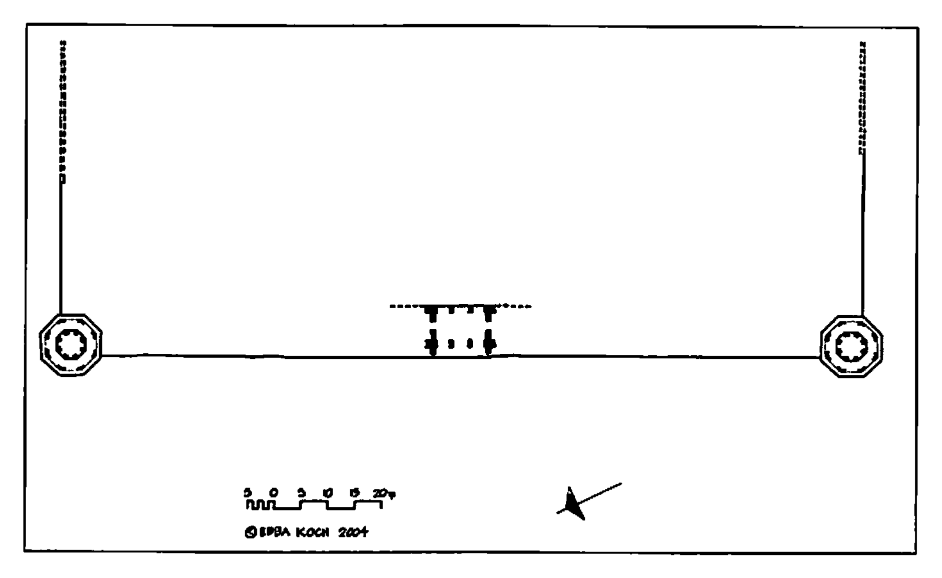
مع تشديد خاصّ على زخارفه التي ألهمت التصميم المعاصر.

(٥٢) للاطلاع على بحث مفصّل للضريح، انظر: Koch, *Taj Mahal: The Monument and the Riverfront Gardens of Agra*.

وزير خان[٥٣]، وهو طبيب ووجيه مميّز لدى شاه جهان توفّي عام ١٦٤١[٥٤] (انظر الرسمان الرقمان (٢٣ ـ ٨) و(٢٣ ـ ٢)).

الرسم الرقم (٢٣ ـ ٨)

مخطط باغ وزير خان (أو باغ محمد زكريا)، من عام ١٦٤٠



المصدر: الرسم من ريتشارد أ. بارّود وإيبا كوش.

لا تزال مباني الحديقة المتبقّية، بالرغم من خرابها، تمثّل أفضل مباني حديقة محفوظة مطلّة على النهر لراعٍ غير إمبراطوريّ من زمن شاه جهان في أغرا. أحد مميزاتها المقصورة الموجودة في وسط حافّة النهر فوق حجرة تحتيّة (تح خانة) على جانبيها برجان في نهاية المصطبة. وكلّ المباني ملبّسة بحجر أحمر.

(٥٣) في خريطة جايبور تسمّى باغ خوجة محمد زكريا، وهو من الوجهاء في عهد جهانغير، لكنّ سجلّات القرن التاسع عشر تشير إليها بأنّها لوزير خان. وكذلك في خريطتي غوبتا الأولى والثانية. وربما خلف وزير خان خوجة محمد زكريا في ملكيّة الحديقة. انظر: Gupta, *Urban Glimpses of Mughal India: Agra: The Imperial Capital (16th and 18th Centuries)*.

(٥٤) Nawaz Khan, *Ma'athir al-Umara*, vol. 3, pp. 981-983; Athar Ali, *The Apparatus of Empire: Award of Ranks, Offices and Titles to the Mughal Nobility* (Delhi: Oxford University Press, 1985), pp. 97-S67, 105-S325, 117-S698, 175-S2599 and 177-S2653.

ز ـ باغ سلطان برويز (القبر فقط محفوظ)

السلطان برويز هو ابن جهانغير، وبالتالي شقيق شاه جهان، ووالد نادرة بانو بيغم التي تزوّجت الأمير دارا شِكوه عام ١٦٢٦، الابن البكر لشاه جهان. يورد فرانسيسكو بلسارت، التاجر الهولنديّ، عام ١٦٢٦ أنّ هذه الحديقة تقع على الضفّة اليسرى لنهر جَمُنا في وصفه أغرا المطلّة على النهر[٥٥].

توفّي السلطان برويز عام ١٦٢٤ ـ ١٦٢٥ في برهانبور التي كان حاكماً لها[٥٦]، وقد أحضرت رفاته إلى أغرا ودُفن في الحديقة التي بناها[٥٧]. دعيت أسرته إلى البلاط وسُمح لها بمواصلة الإقامة في الحديقة لأنّ لاهوري، المؤرّخ الرسميّ لشاه جهان يذكر إقامة أسرة السلطان برويز في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٦٣٢، عندما أرسلت الهدايا إلى الحديقة حيث تقيم والدة العروس الأرملة كجزء من حفل خطوبة دارا شِكوه ونادرة بانو بيغم[٥٨].

يوجد موقع الحديقة إلى الشمال من ضريح اعتماد الدولة، وتغطّيها المشاتل جزئياً ومقرّ الإقامة التابع لحديقة موتي باغ. المبنى الرئيسيّ المتبقّي في حديقة موغال هو الضريح، ويعرف محليّاً باسم مقبرة برويز خان، الموجود بين النهر وطريق أليغار إلى الغرب من مخفر الشرطة. وليس هناك ذكر لحديقة السلطان برويز إلا في سجلّات أوائل القرن التاسع عشر[٥٩]، لا في الأوصاف المتأخّرة لأغرا. والضريح غير معروف اليوم على العموم ولا يخضع لحماية هيئة المسح الأثريّ. ينتصب الضريح المكعّب الذي تعلوه قبّة على منشأة تحتيّة ذات غرف مقنطرة، مرتّبة على نسق هشت بِهِشت[٦٠]. وكان الضريح بأكمله، بما في ذلك منشآته التحتيّة، مزيّناً بالرسوم التي لم يبق منها سوى أجزاء. وهي يرجع تاريخها إلى الربع الثاني من القرن السابع عشر.

---

(٥٥) India, *The Remonstrantie of Francisco Pelsaert*, p. 5, and Koch, *Taj Mahal: The Monument and the Riverfront Gardens of Agra*, p. 16.

(٥٦) Ali, *The Apparatus of Empire: Award of Ranks, Offices and Titles to the Mughal Nobility*, p. 87-J1471.

(٥٧) Beni Prasad, *The History of Jahangir* (London: Oxford University Press, 1922), p. 428.

(٥٨) Beach, Koch and Thackston, *King of the World: The Padshahnama: An Imperial Mughal Manuscript from the Royal Library, Windsor Castle*, nos. 21-24.

(٥٩) Sil Chand, *Tafrih al-'Imarat*, fol. 109b, and Raja Ram, «Gardens of Agra,» p. 16.

(٦٠) للاطلاع على المخطّط، انظر: Koch, *Taj Mahal: The Monument and the Riverfront Gardens of Agra*.

ح ـ ضريح اعتماد الدولة (محفوظ بشكل جيّد)

بنت نور جهان، زوجة جهانغير القويّة، الضريح بين عامي ١٦٢٢ و١٦٢٨ لوالديها. وكان والدها غياث بيه الطهرانيّ، الملقّب باعتماد الدولة، وزيراً لماليّة إمبراطوريّة المغول في أثناء حكم جهانغير(٦١). يعكس الضريح الذي بنته ابنته نور جهان له أناقة ذوقها، حيث كانت مواهبها المتعدّدة تشمل اهتماماً ملحوظاً بالعمارة.

على غرار معظم حدائق الأضرحة، باستثناء تاج محلّ، لا تتبّع حديقة اعتماد الدولة تصميم حافّة النهر وإنّما تصميم التشرياغ الرباعيّ الكلاسيكيّ، حيث يوجد مبنى الضريح في الوسط عند تقاطع الممارّ(٦٢).

يتمّ التعامل مع امتياز مخطّط حافّة النهر بأن تكون المقصورة في منتصف الواجهة النهريّة، بتفصيل خاصّ. ولمصطبة حافّة النهر درجات تفضي إلى الغرف السفليّة، ووسّعت أبراج حافّة النهر بغرف للآبار ومنحدرات لرفع الماء. يتّسم مخطّط هشت بِهِشت الذي تتبعه عمارة الضريح ببساطة المربّع السحري، وتغنيه الأبراج الأربعة في الزوايا. المبنى بأكمله مغطّى بالرخام المرصّع بحجارة مختلفة الألوان(٦٣). وهي تسبق أشغال الترصيع الأكثر أناقة في تاج محلّ. يوجد التاريخ ١٠٣٥هـ، الذي يوافق ١٦٢٦ ـ ١٦٢٧م، إلى جانب اسم الخطّاط عبد النبي القرشي على لوحة منقوشة على البرج الجنوبي الغربيّ. ويظهر التاريخ ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٧ ـ ١٦٢٨م داخل الغرفة العليا على اللوح الأول غرباً من الجدار الشماليّ.

---

(٦١) Jahangir, *Tuzuk-i Jahangiri or Jahangir nama*, p. 373, and Nawaz Khan, *Ma'athir al-Umara*, vol. 2, pp. 1072-1079.
وهو يشير في رواية حياة غياث بيه أيضاً حياة ابنته نور جهان، انظر: Ali, *The Apparatus of Empire: Award of Ranks, Offices and Titles to the Mughal Nobility*, p. 78-J1194.

(٦٢) B. Asher, *Architecture of Mughal India*, The New Cambridge History of India; 1.4 (Cambridge, MA; New York; Oakleigh: Cambridge University Press, 1992), pp. 130-133.
وللحصول على وثائق فوتوغرافيّة حديثة، مع مخطّط خاطئ لسوء الحظّ (يظهر ضريح مريم الزمان في سيكاندارا)، انظر: Amina Okada (text) and Jean-Louis Nou (photographs), *Un Joyau de l'Inde Moghole: Le mausolée d'Itimad ud-Daulah* (Milan: Continents Editions, 2003).
وللحصول على معالجة أكمل للمخطّط الجديد انظر: Koch, *Taj Mahal: The Monument and the Riverfront Gardens of Agra*.

(٦٣) انظر: Smith, *Moghul Colour Decoration of Agra, Archaeological Survey of India*, pp. 18-19.
وهو يرى في مقاربته المميّزة الضريح على أنّه يحمل تصميماً زخرفيّاً.

وأثناء الحكم البريطانيّ، جرى تعديل المقصورة المطلّة على النهر لتصبح بيتاً من طبقة للمقيمين الأوروبيّين في أغرا الذين يقيمون هناك بين الحين والآخر لتغيير الجوّ(٦٤).

ط ـ الحدائق الإمبراطورية حول نهر جَمُنا

يلي حديقة باغ موسوي خان صدر، غير المحفوظة (١٠)، سلسلة من الحدائق الإمبراطوريّة الموجودة حول انعطافة نهر جَمُنا وتمتدّ على القسم المستقيم وصولاً إلى مهتاب باغ مقابل تاج محلّ. وقد بنيت هذه المنطقة اليوم وصولاً إلى الجسر الحديد وتضمّ مباني سكنيّة حديثة، ويستخدم ما تبقّى منها للزراعة.

ي ـ تشهار باغ بادشاه أو باغ هشت بِهِشت (غير محفوظة)

كانت هذه حديقة بابُر الأولى في أغرا، وجرى بحثها في البداية. وقد بقي بعض الآبار في المنطقة التي كانت تشغلها الحديقة.

ك ـ مهتاب باغ (محفوظة جزئيّاً)

هي من الحدائق التي بناها شاه جهان. يتساوى عرضها مع عرض حديقة تاج محلّ، وتقع مقابلها تماماً، وهو ما أدّى إلى الاعتقاد أنّ شاه جهان كان يعتزم بناء ضريحه هناك كصورة مقابلة لضريح زوجته بالرخام الأسود، ومرتبط به بجسر فوق النهر. وقد أورد هذه القصّة الرحّالة الفرنسيّ تافارنييه الذي كان في أغرا في ستينيّات القرن السابع عشر(٦٥). ولم تكشف الحفريّات الأثريّة التي أجرتها هيئة المسح الأثريّ في الهند في تسعينيّات القرن العشرين عن أي شيء يؤيّد هذا الافتراض. وكانت مؤرّخة الحديقة إليزابيت موينيهان قد اقترحت أنّ مهتاب باغ بنيت لمشاهدة تاج محلّ، حيث تلتقط انعكاسه بركة كبيرة في وسط مصطبته المطلّة على النهر والخرِبة الآن(٦٦). وثمة ما يؤيّد نظريّتها وهو أنّ المبنى الرئيسيّ في تصميم الحديقة المطلة على النهر استُبدل وحلّت مكانه بركة كبيرة، وتلك سمة غير موجودة في الحدائق الأخرى.

---

(٦٤) Carlleyle, «Agra,» p. 141.

(٦٥) Jean-Baptiste Tavernier, *Travels in India*, translated by V. Ball; edited by William Crooke (New Delhi: Oriental Books Reprint Corporation, 1977), vol. 1, p. 91.

(٦٦) E. B. Moynihan, *The Moonlight Garden: New Dicoveries at the Taj Mahal* (Washington, DC: Arthur M. Sackler Gallery, Smithsonian Institution, and Seattle and London: University of Washington Press, 2000).

وللاطلاع على الصورة المنعكسة لتاج محلّ، انظر: Koch, *Taj Mahal: The Monument and the Riverfront* و *Gardens of Agra*, pp. 31 and 40.

٢ ـ حدائق الضفّة اليمنى وصولاً إلى قلعة أغرا

أ ـ حويل خان داوران (خرب ومبنيّ فوقه)

أنشأ هذا المجمّع خان بهادر نصرت جنك، أحد قادة شاه جهان العظام الذين تميزوا في حملات الإمبرطور العشرة[٦٧]. لكنه كان مرهوب الجانب ومكروهاً لقسوته، وقد قتله في تموز/يوليو ١٦٤٥ صبيّ براهميّ أدخل في خدمته وحُمل على اعتناق الإسلام[٦٨].

يشار إلى مقرّ إقامة خان داوران على حافّة النهر باسم حويل، وهو ضرب من المباني يضمّ فناء أو أكثر، وهو بالتالي منشأة أكثر تجسيماً من الباغ الذي تقام فيه مقصورات في الحديقة. ومع ذلك اتبعت الحويلات المطلّة على النهر في أغرا تصميم الحديقة المطلّة على النهر في أنّ المنشأة الرئيسيّة مشيّدة بحيث تشرف على نهر جَمُنا. وقد بني تاج تانري على ما تبقى من حويل خان داوران، ولا يرحّب فيها بالزوار.

ب ـ روضة شاه جهان (تاج محلّ) (محفوظة جيّداً)

شكّل تاج محلّ جزءاً من مخطّط الحدائق المطلّة على النهر في أغرا، وهو يعبّر عن الحديقة المطلّة على النهر في أبهى صورها[٦٩] (انظر الرسمين الرقمين (٢٣ ـ ٩) و(٢٣ ـ ١٠)).

ينتصب الضريح والمباني المجانبة له على مصطبة كبيرة ذات واجهة مزخرفة باتجاه النهر، ويظهر تشرباغ في الجانب المواجه للبرّ. ولا يحدّد مخطّط حافّة الماء شكل حديقة التاج فحسب، بل هو عنصر رئيسيّ في تخطيط مجمّع التاج بأكمله أيضاً. يوجد إلى الجنوب من الحديقة مستطيل كبير (انظر الرسم الرقم (٢٣ ـ ٩ ـ c))يشكّل مربّعه المتوسّط الفناء الأماميّ للتاج، وقد أطلق عليه عبد الحميد لاهوري ومحمد صالح كانبو، مؤرّخا شاه جهان، اسم جِلاوخانة.

---

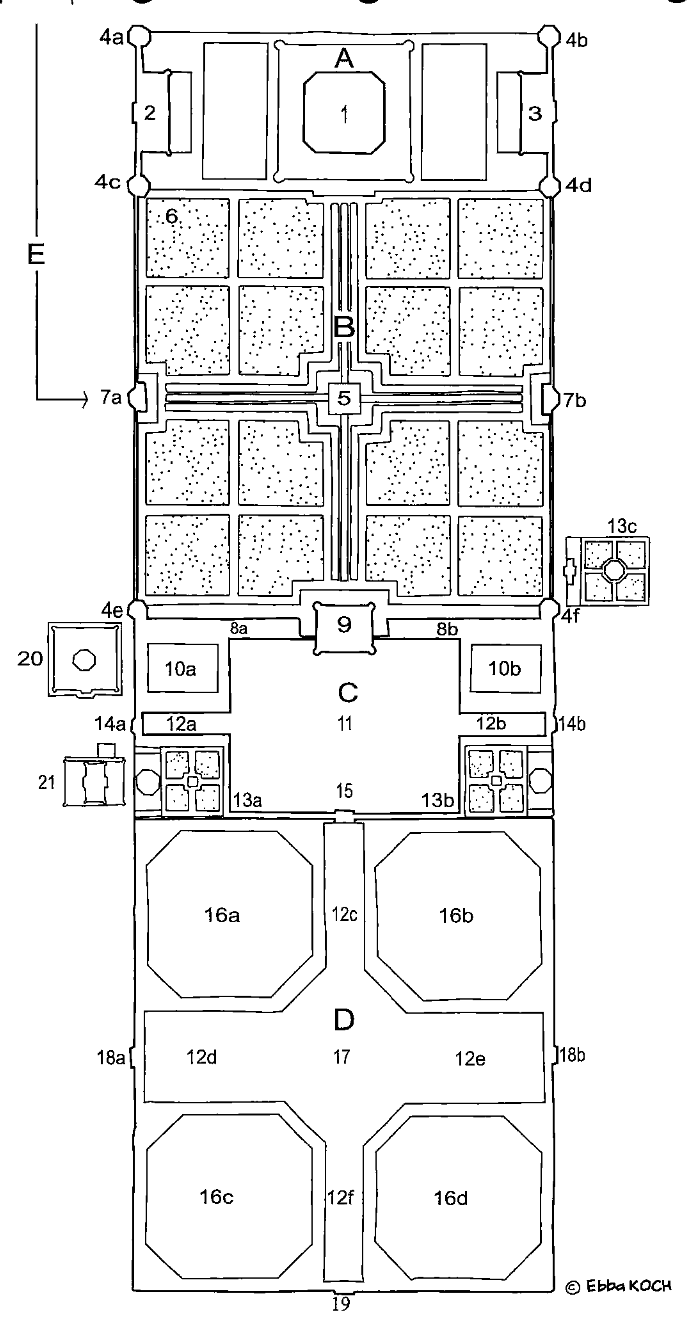
(٦٧) Beach, Koch and Thackston, *King of the World: The Padshahnama: An Imperial Mughal Manuscript from the Royal Library, Windsor Castle*, cat. nos. 10, 18, 19, 31, 32, 35, 36, 40 and 43.

(٦٨) 'Inayat Khan, *Shah Jahan Nama*, p. 325, and Nawaz Khan, *Ma'athir al-Umara*, vol. 1, pp. 778-783.

(٦٩) لا يبحث هنا النصب سوى «كوحدة» للمدينة المطلّة على الماء. للحصول على أول معالجة لتاريخه وعمارته، انظر: Koch, *Taj Mahal: The Monument and the Riverfront Gardens of Agra.*

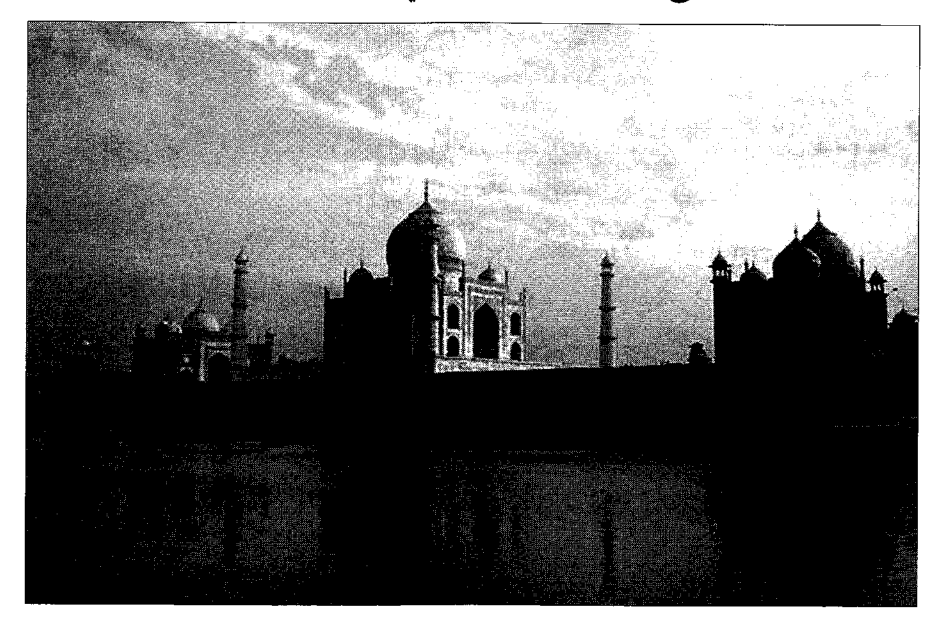
الرسم الرقم (٢٣ ـ ٩)

تاج محلّ، مخطط لكامل المجمّع، ١٦٣٢ ـ ١٦٤٣، مع ترقيم المباني



المصدر: الرسم من ريتشارد أ. بارّود وإيبا كوش.

الرسم الرقم (٢٣ ـ ١٠)
تاج محلّ، مجموعة من مباني الواجهة المائية



في الوسط الضريح يحاذيه إلى اليمين المسجد وإلى اليسار ميهمان خانا، ١٦٣٢ ـ ١٦٤٣.
المصدر: إيبا كوش.

يحيط فناءان صغيران بمربّع الجِلاوخانة (انظر الرسمين الرقمين (٢٣ ـ ٩) و(٢٣ ـ ١١)) من جانبيه القصيرين. ويقسم شارع سوق مفتوح (انظر الرسوم الأرقام (٢٣ ـ ٩)، ((12a) و(12b)) هذين الفناءَين ويوفّر المنفذ الرئيسيّ للجِلاوخانة، وخلف ذلك، يتمّ الوصول إلى حديقة الضريح عبر بوّابة كبيرة (انظر الرسم الرقم (٢٣ ـ ٩)). ويحتوي الفناءان الشماليّان على مقرّ إقامة زوّار الضريح، الخواص بورا (انظر الرسم الرقم (٢٣ ـ ٩)، ((10a) و(10b)) ويحتوي الزوجان الجنوبيّان على حديقتين فرعيّتين لضريحي زوجتي شاه جهان الأقل شأناً (انظر الرسم الرقم (٢٣ ـ ٩)، ((13a) و(13b)).

ويردّد فناءا هذين الضريحين صدى تصميم حديقة الضريح الرئيسيّة لأنّهما يتبعان مخطّط حافّة الماء المميّز للتشرباغ المحوريّ ممزوجاً بالمصطبة المستطيلة التي ينتصب عليها الضريح والمبنيان المجانبان (أحدهما محفوظ فقط).

وفي هاتين النسختين الصغيرتين المكرّرتين عن الحديقة الرئيسيّة، ينقل مخطّط حافة الماء إلى موضع داخليّ. بل تستخدم الحديقة المطلّة على الماء أيضاً كمخطّط ترتيبيّ للمجمّع الفرعيّ للتاج بأكمله، لأنّه يوجد إلى الجنوب من الجِلاوخانة مجمّع

فناء آخر ذو ترتيب محوريّ (انظر الرسم الرقم (٢٣ ـ ٩) (D)). وهو مشكّل من شوارع السوق المتقاطعة (انظر الرسم الرقم (٢٣ ـ ٩)، (12c)، (12d)، (12e)، (12f)) التي تقابل ممارّ الحديقة، وأربعة سرايات أو خانات مربّعة (انظر الرسم الرقم (٢٣ ـ ٩)، (16a)، (16b)، (16c)، (16d)) تشغل أماكن الحدائق الأربع.

نقابل هنا نقلاً فريداً ومبتكراً جدّاً لتصميم التشرباغ في مجمّع معماريّ مدنيّ خدماتيّ. ويماثل تشكيل الوحدة المستطيلة التي تضمّ الجِلاوخانة والوحدة القائمة عند تقاطع المحاور إلى الجنوب مخطّطَ حافّة الماء الخاص بحديقة التاج. وهكذا يتكوّن مجمّع تاج محلّ بأكمله من وحدتين تتّبعان تصميم حافّة الماء، حديقة تاج محلّ، وهي حديقة مطلّة على الماء، وتصميم الوحدات الفرعيّة الداخليّة.

وتقوم إلى الغرب من تاج محلّ الأشغال المائيّة التابعة لها، منها قناة كبيرة لنقل الماء من نهر جَمُنا إلى الحديقة.

ج ـ باغ خان علم (محفوظة جزئيّاً)

تقع الحديقة إلى الغرب من الأشغال المائيّة، وكانت تابعة لميرزا بارخوردار، وهو وجيه تيموريّ منحه جهانغير عام ١٦٠٩ لقب خان علم، وبعد سنتين أرسله الخان كسفير إلى بلاط شاه عبّاس في إيران. خدم خان علم شاه جهان أيضاً في أوائل عهده، لكنّه تقاعد عام ١٦٣٢ لكبر سنّه و«أمضى ما تبقّى من أيامه بهدوء وراحة» في أغرا، في حديقته القريبة من تاج محلّ على ما يفترض[٧٠] (انظر الرسم الرقم (٢٣ ـ ١١)).

اتّبعت الحديقة مخطّط حدائق المغول السكنيّة في أغرا حيث توجد العمارة الرئيسيّة للحديقة على مصطبة تشرف على النهر والحديقة في جانب البرّ. ولا يزال المبنى المطلّ على النهر محفوظاً لكنّه خرِب. وعلى غرار العديد من حدائق أغرا، استخدمت باغ خان علم كمدفن لصاحب الحديقة، لكن لم يستبدل المبنى الرئيسيّ للحديقة بالضريح كما في حالة الروضة الصينيّة (٦)، أو اعتماد الدولة (٩)، أو جعفر خان (٤٤)، لكن تمّ رفع المنصّة التي تحمل النصب التذكاري على المحور المركزيّ جنوب المبنى المطل على النهر.

---

(٧٠) India, *The Remonstrantie of Francisco Pelsaert*, p. 4; Nawaz Khan, Ibid., vol. 1, pp. 389-392; Sil Chand, *Tafrih al-'Imarat*, fol. 77b; Ram, «The Gardens of Agra,» p. 21, and Ali, *The Apparatus of Empire: Award of Ranks, Offices and Titles to the Mughal Nobility*, p. 117-S702, and previous references.

وتستخدم دائرة الحدائق التابعة لهيئة المسح الأثريّ حديقة خان علم اليوم بمثابة مشتل.

الرسم الرقم (٢٣ ـ ١١)
باغ خان علم، وبرج مهدّم على شرفة الواجهة البحرية
مع أجزاء من أبراج أخرى مهدمة، ١٦٣٠ ثلاثينات القرن السابع عشر



المصدر: تصوير إيبا كوش.

د ـ قلعة أغرا (محفوظة جيّداً)

إلى جانب تاج محلّ، تبرز القلعة العظيمة للأباطرة على المشهد المطل على النهر في أغرا. وعلى غرار الضريح، اتخذت القلعة موقع الحديقة في المخطّط المديني، كما أنّ حديقة قصرها وأفنيتها الرئيسيّة تتبّع تصميم الحديقة المطلّة على النهر.

أقام المغول القلعة الكبيرة مكان قلعة قديمة بناها اللوديون من الطوب والطين. بدأ أكبرُ بناءَ القلعة عام ١٥٦٤ كمقر رئيسيّ لحكمه، ودعّمها بتحصينات رائعة مبنيّة بالحجر الأحمر. وقد أدخل خلفاء أكبر تعديلات على القلعة ـ ولا سيّما شاه جهان الذي أعاد إنشاء أفنية القصر الرئيسيّة الثلاثة بين عامي ١٦٢٦ و١٦٣٧، وميّز مبانيه بواجهات من

الرخام الأبيض والجصّ المصقول[٧١]. بقيت القلعة المقرّ المغوليّ الرئيسيّ إلى أن نقل شاه جهان بلاطه إلى شاه جهان أباد في دلهي. وأقام البريطانيّون حاميتهم في القلعة عندما فتحوا أغرا عام ١٨٠٣ ولا يزال القسم الأكبر منها خاضعاً للإدارة العسكريّة، إذ بقيت القلعة تحت الإدارة العسكريّة بعدما نالت الهند استقلالها عام ١٩٤٧. وقد بني العديد من المنشآت المغوليّة فوقها أو هدمت وحل محلّها ثكنات، لكن أفنية القصر الرئيسيّة حُفظت وتمثّل مجموعة فريدة من عمارة القصور الإسلاميّة والهنديّة في القرنين السادس عشر والسابع عشر. وفي عام ١٩٢٣ ـ ١٩٢٤ أقامت هيئة المسح الأثريّ سياجاً حول المنطقة الأثرية التي تضمّ القصور ومسجد موتي الذي أنشأه شاه جهان لفصلها عن المنطقة العسكريّة وأتاحت وصول الزوّار إليها عبر بوّابة أمار سينغ التي فُتحت أمامهم في ٢٥ شباط/ فبراير ١٩١٤[٧٢]. وفي عام ١٩٨٢ أصبحت قلعة أغرا، إلى جانب تاج محلّ، من مواقع التراث العالميّ للأونيسكو.

وتعكس أفنية القصر الرئيسيّة الثلاثة لشاه جهان تصميم الحديقة المطلّة على النهر. وكان فناء الديوان العام يشكّل قلب القصر، وقد أعاد شاه جهان إنشاءها بين عامي ١٦٢٨ و١٦٣٧، إلى جانب الفناءين القائمين شرقها، حيث يدعى الفناء الشماليّ منهما مشهي باوان اليوم، والجنوبيّ أنغوري باغ، وتدعى المباني المطلّة على النهر خاصّ محلّ. والأفنية الثلاثة منظّمة بطريقة مماثلة وتتّبع مخطّط الحدائق المطلة على النهر في أغرا. تتشكّل ثلاثة من جوانبها من أجنحة من دور أو دورين، وتوجد في الجانب الرابع المباني المنفردة المرفوعة على مصطبة. وهي تخدم الوظائف الاحتفاليّة الرئيسيّة للبلاط والاستخدام الشخصيّ لشاه جهان ونسائه. وإلى جنوب أنغوري باغ يوجد فناءان صغيران يرجعان إلى عهد أكبر، ويدعيان جهانغير محل وأكبر محلّ.

هـ ـ الديوان العامّ

من الجناح الشرقيّ لفناء الديوان العامّ، تبرز قاعة الاستقبال المعمّدة، دولت خانه (قاعة استقبال للخواصّ والعامّة)، وتدعى اختصاراً الديوان العامّ[٧٣].

---

(٧١) Koch, *Mughal Architecture: An Outline of Its History and Development (1526-1858)*, pp. 53-55 and 106-109, and Asher, *Architecture of Mughal India*, pp. 47-51 and 182-189.

(٧٢) Smith, *Moghul Colour Decoration of Agra, Archaeological Survey of India*, p. 8.

(٧٣) Ebba Koch, «Diwan-i ʿAmm and Chihil Sutun: The Audience Halls of Shah Jahan,» *Muqarnas*, vol. 11 (1994), pp. 143-165, reprint in: Koch, *Mughal Art and Imperial Ideology*, pp. 229-254.

و ـ مشهي باوان

أرفق الاسم الحاليّ لفناء مشهي باوان (دار السمك) في تاريخ لاحق، وفي عهد شاه جهان لم يكن يحمل اسماً خاصّاً وكان يشار إليه باسم فناء الدور الأرضيّ لقاعة استقبال الخاصّة، خاصّة دولت خانه، ديوان الخاصّة اختصاراً(٧٤). وهي مقصورة واسعة ملبّسة بالرخام الأبيض تنتصب على الجانب الجنوبيّ من المصطبة المطلّة على النهر من الفناء. وفي مقابل الجانب الآخر من المصطبة، يوجد حمّام شاه جهان، وهو مجموعة من الغرف المقنطرة التي تفتقر إلى الواجهة وقاعة أماميّة(٧٥). وتضمّ أجنحة مشهي باوان الخزانة، وفي الفناء يشاهد الإمبراطور حيواناته الصيّادة، وكلابه وصقوره وفهود الشيتا، ويراقب تدريب جياده. وكانت تستخدم أيضاً في قتال الحيوانات.

ز ـ خاصّ محلّ وأنغوري باغ

يدعى فناء الحديقة أنغوري باغ (حديقة العنب) اليوم، ويشير لاهوري، مؤرّخ شاه جهان، إليها بالحديقة (باغ) فقط. كانت في عهد شاه جهان الحديقة الوحيدة ضمن مجمّع القصر الإمبراطوريّ(٧٦). وهنا تغيّر تصميم الحديقة الكلاسيكيّة المطلّة على الماء في أغرا إلى فناء قصر محاط من ثلاثة جوانب بأجنحة مكوّنة من دورين. يرتفع على مصطبة حافّة النهر مبنى خاصّ محل، وهو مجموعة من ثلاثة مبانٍ رخاميّة تشكّل مجموعة مستقلّة عن النظر إليها من الداخل فضلاً عن الخارج: الخوابغاه أو جناح المنامة الإمبراطوريّة في المركز، وبجانبها بانغلا درشان أو مقصورة المشاهدة الإمبراطوريّة من اليسار (الشمال)، وهي مقصورة ذات سقف موشّى بالذهب، ويوجد بجانبها إلى اليمين (الجنوب) صورتها المرآويّة، بانغلا جهان آرا، أي مقصورة ابنة شاه جهان.

ويحدّد القرب من النهر الذي يحظى بتقدير موقع المنطقة الرسميّة لمشهي باوان والمنطقة التي يصعب النفاذ إليها، وهي الأفنية الخاصّة التي يستخدمها الإمبراطور ونساؤه، أنغوري باغ، وإلى جنوبها جهانغير محل وأكبر محلّ، وهما يرجعان إلى عهد أكبر. تغلق حواجز المساحات المفتوحة نحو النهر باتجاه النهر، ومع ذلك تشاهد

---

(٧٤) يشير لاهوري إلى ذلك باسم «سهني رويي زمين» و«سهني باين». انظر: Lahawri, *Badshah-nama*, vol. 1, part 2, p. 238, and Nur Bakhsh, trans., «The Agra Fort and Its Buildings,» in: *Archaeological Survey of India: Annual Report, 1903-1904*, pp. 177-179.

(٧٥) Ebba Koch, «The Lost Colonnade of Shah Jahan's Bath in the Red Fort of Agra,» *Burlington Magazine*, vol. 124, no. 951 (1982), pp. 331-339, reprint in: Koch, *Mughal Art and Imperial Ideology*, pp. 255-268.

(٧٦) Lahawri, *Badshah-nama*, vol. 1, part 2, p. 240, and Bakhsh, Ibid., pp. 180-181.

المباني من الخارج وبالتالي يتناقض ذلك مع المفاهيم العامّة للدائرتين العامّة والخاصّة في الثقافة الإسلامية. فالمكان المخصّص للاستقبال في البلاط، الديوان العامّ، موجود داخل القصر. وقد احتفظ الإمبراطور بالمطلّ على النهر لنفسه ولأسرته ونسائه. وحدّد مفهوم الحديقة المطلّة على النهر تصميم القصر.

٣ ـ أماكن الإقامة إلى شمال القلعة

من غير المعروف على وجه اليقين كم تبقّى من مقارّ الإقامة في الحدائق الممتدّة على ضفّة النهر بين القلعة وروضة جعفر خان (٤٤) لأنّ مدينة أغرا استوعبت المنطقة وتمّ البناء عليها بكثافة. تقع أكثر البقايا الظاهرة للعيان على طول طريق جَمُنا ـ كنارا، على بعد سبعمئة وخمسين متراً إلى شمال القلعة في قسم المدينة الذي يدعى بيلان غنج، وهي: برجان يعلوهما قبّة معمّدة على الطراز الشاه جهانيّ يبعد أحدهما ٤٠ متراً من الآخر. يعرف البرجان محليّاً باسم خوني برج (برج الدم) وشكّلا الزاويتين المطلّتين على النهر لمجمّع يدعى محليّاً باسم بوتارية محلّ[٧٧].

ووراءهما بعيداً من الطريق يوجد مبارك منزل الخاصّ بأورانغزب الذي حوّله البريطانيّون إلى دار للجمارك، وينتصب حيث تنعطف الطريق إلى الغرب مبنى خرِب كبير يسمّى «مكتبة دارا شِكوه».

أ ـ حويل دارا شِكوه (غير محفوظ)

دارا شِكوه هو ابن شاه جهان المفضّل والوريث المعيّن، لكنّه فقد حياته عام ١٦٥٩ على يد أخيه الأصغر أورانغزب[٧٨]. لم يحفظ الحويل التابع له في أغرا لكن يمكن تحديد موقعه[٧٩]. ووفقاً للمعجم الجغرافيّ لأغرا عام ١٩٢١، تمّ تهديم بقايا الحويل عام ١٨٨١ لجعل المكان مبنى للبلديّة[٨٠]. ولا يزال هذا المبنى قائماً، على بعد ٢٥٠ متراً شمال القلعة، بعيداً من طريق جَمُنا ـ كنارا. يصفه لوح على واجهته الشماليّة

---

(٧٧) معلومات من السيّد نافين تشاند، المالك الحالي لمبارك منزل (انظر ٣٣ و٣٤ و٣٥ أدناه)، في ١٢ آذار/ مارس ٢٠٠٤.

(٧٨) Bikrama Jit Hasrat and Dara Shikuh, *Life and Works* (New Delhi: Munshiram Manoharlal Publishers Pvt. Ltd, 1982).

(٧٩) للحصول على معالجة أوفى، انظر: Koch, *Taj Mahal: The Monument and the Riverfront Gardens of Agra*.

(٨٠) H. R. Neville, *Agra, a Gazeteer, District Gazetteers of the United Provinces of Agra and Oudh*, 3 vols. (Allahabad: Superintendent Government Press, United Provinces, 1921), p. 198.

بالإنكليزيّة والفارسيّة بأنّه مبنى البلديّة وأنّه يرجع إلى عام ١٨٨٢. وتم تحويله إلى مدرسة في وقت لاحق.

ب ـ مجمّعات أورانغزب

٣٣ و٣٤ مدرجان في مخطّط جايبور باسم حويل عَلَمغير، و٣٥ باسم «مسجد مبارك منزل».

يشكّل تاريخ موقع حويل أورانغزب مثالاً بارزاً على تغيّر ملكيّة الأرض في النظام المغولي. ويمكننا تتبّع مالكيها إلى القرن السادس عشر. في عهد أكبر كانت ملكيّة حافّة النهر تعود إلى خان خانان (القائد الأعلى) بيرم خان تركمان، الوصيّ على أكبر ووكيله. وبعد إقصاء بيرم خان، أعطى أكبر اللقب والمنصب، إضافة إلى مقرّ الإقامة في أغرا، لمنعم خان عام ١٥٦٠ (٨١). وعندما توفّي عام ١٥٧٥، انتقلت الملكيّة إلى التاج ثانية. وعندما اعتلى جهانغير العرش، منحها إلى ابنه الأكبر خسرو مع مئة ألف روبيّة لإعادة بنائها (٨٢). وبعد وفاة خسرو المفاجئة التي يتحمّل مسؤوليّتها شاه جهان، انتقل المبنى إلى الأخير على ما يبدو لأنّ دي ليت لا يدرج منزل خسرو وإنّما منزل «الأمير سلطان خُرّم [مُنح خُرّم اسم شاه جهان]» بأنّه المنزل الرابع إلى شمال القلعة، وذلك مماثل تقريباً للموقع الوارد في مخطّط جايبور (٨٣).

وفي شباط/ فبراير ١٦٢٨ أقام شاه جهان في مقرّ إقامته كأمير ـ الذي كان معروفاً في ذلك الوقت بالقصر الإمبراطوريّ دولت خانه ـ لمدّة ١٢ يوماً انتظاراً للوقت الميمون (الذي حسبه المنجّمون لديه في الرابع عشر من الشهر) لكي يدخل القلعة رسميّاً من أجل حفل اعتلاء العرش (٨٤).

وفي آذار/ مارس ١٦٣٣ أقام فيه الأمير شاه شجاع، ابن شاه جهان الثاني، بمناسبة زواجه (٨٥). غير أنّ الإمبراطور واصل استخدامه. وعندما انتشر الطاعون في أغرا في

(٨١) 'Allami, *Akbar-nama*, vol. 2, pp. 187-188, and Ram Kishore Pandey, *Life and Achievements of Muhammad Bairam Khan Turkoman* (Bareilly: Prakash Book Depot, 1978), p. 260.

(٨٢) Jahangir, *Tuzuk-i Jahangiri or Jahangir nama*, vol. 1, p. 12.

(٨٣) De Laet, *A Dutch Chronicle of Mughal India*, translated and edited by Brij Narain and Sri Ram Sharma (Lahore: Sang-e-Meel Puplication, 1978), pp. 38-39.

(٨٤) Qazwini, *Padshah-nama*, fol. 121a/refoliated 122a; Lahawri, *Badshah-nama*, vol. 1, part. 1, pp. 86-87; Kanbo, *'Amal-i Salih or Shah Jahan-nama*, vol. 1, pp. 187, and 'Inayat Khan, *Shah Jahan Nama*, p. 15.

(٨٥) Lahawri, Ibid., vol. 1, part 1, p. 463.

وقت لاحق من ذلك العام، انتقل إلى هناك في حزيران/ يونيو ١٦٣٣ «بسبب اتّساعه وقربه إلى الماء ونقاء هوائه»، لتجنّب التقاط العدوى في قصره[٨٦].

ويتأكّد موقع الحويل إلى شمال القلعة من خلال وصف قتال تاريخيّ للأفيال حدث في ذلك الوقت، إذ بدأ أمام قصر الإمارة وانتقل إلى القلعة[٨٧]. وانتقل المبنى إلى أورانغزب في النهاية، إذ يذكر المؤرّخ لاهوري بمناسبة زواجه أنّ شاه جهان منحه له «بعد اعتلائه العرش»[٨٨].

يعرض مخطّط جايبور منطقتين مسوّرتين تدعيان حويل عَلَمغير، وإلى شمالهما منطقة مسوّرة أخرى تدعى مسجد مبارك منزل. لم يتبقّ من المجمّع سوى مبنى عرف منذ القرن التاسع عشر باسم مبارك منزل، ودار الجمارك، وبيرمت كوتي، ويعرف اليوم باسم تارا نواس. استُخدم هذا المبنى بين عامي ١٨١٠ و١٨٧٧ كدار للجمارك أو مقرّ رئيسيّ لدائرة الملح في أغرا (انظر الرسم الرقم (٢٣ ـ٣))؛ وفي عام ١٨١٧ أدخل عليه تعديل كبير، وأضيف إليه طبقة ثانية. وأعدّت الإدارة البريطانيّة مخطّطاً عن أغرا عام ١٨٦٧ ـ ١٨٦٨ يظهر دار الجمارك في أعلى الجسر العائم[٨٩]. وقد باعت الحكومة البريطانيّة المبنى في ٢٨ حزيران/ يونيو ١٨٧٨ بالمزاد العلنيّ بمبلغ ١٧٠٠٠ مهر ذهبيّ إلى شيث حيرا لال من أسرة تعرف بالشيثيين من ماثورا[٩٠].

وفي عام ١٩٠٢ أشارت الجالية الإسلاميّة في أغرا أمام اللورد كورزون أنّه مكان للعبادة، لكن رُفض التماسهم، إذ لم يعثر على أي دليل عن عمارة المسجد[٩١].

---

(٨٦) Kanbo, Ibid., vol. 1, p. 460.

(٨٧) Beach, Koch and Thackston, *King of the World: The Padshahnama: An Imperial Mughal Manuscript from the Royal Library, Windsor Castle*, cat. no. 29, in particular: Koch, pp. 185-87.

(٨٨) Lahawri, *Badshah-nama*, vol. 1, part 2, p. 268, and Beach, Koch and Thackston, Ibid., p. 187, no. 10.

(٨٩) انظر: BL OIOC, Map x/1381/1-15.

أشكر جيري لوستي، رئيس قسم المطبوعات والرسوم والصور في المكتبة البريطانيّة للفت انتباهي إلى هذه الخريطة ولتكرّمه بمشاركتي المعلومات التي لديه عن أغرا تحت حكم البريطانيّين.

(٩٠) تعرّفت إلى مبارك منزل في ١٢ آذار/ مارس ٢٠٠٤ بمساعدة المالك الحالي نافين تشاند، وهو من المتحدّرين المباشرين من شيث حيرا لال، الذي تفضّل بتقديم تفاصيل الحصول على المبنى وتاريخه وسمح بإجراء مسح لعمارته. عن مبارك منزل انظر: Chand, *Tafrih al-'Imarat*, fols. 92b-93a; Ram, «The Gardens of Agra,» p. 20; S. Muhammad Latif, *Agra, Historical and Descriptive* (Lahore: Sandhu Printers, 1981), pp. 200-202, Neville, *Agra, a Gazeteer, District Gazetteers of the United Provinces of Agra and Oudh*, p. 198, and Koch, *Taj Mahal: The Monument and the Riverfront Gardens of Agra*.

(٩١) Curzon Papers: Indian Archaeology, 1899-1905, BL OIOC, Mss Eur F111/621, pp. 170-171.

وبعد ذلك بسنة، أفاد أ. ك. بولوسل، وهو مهندس تنفيذيّ، بأنّ مبارك منزل استُخدم مستودعاً لسكة حديد شرق الهند، وأنّه بإذن من المالك في ذلك الوقت، شيث تشوني لال، ابن حيرا لال، ثبّت لوح رخاميّ عليه نقش يعيد استحضار التراث المحليّ للمبنى بكونه أنشئ من قبل أورانغزب عقب معركة ساموغار في حزيران/ يونيو ١٦٥٩[٩٢].

ولا يزال المبنى المغوليّ الأصليّ قائماً، وقد غطّي في منشأة عام ١٨١٧، وهو يتخذ شكل قاعة معمّدة منبسطة السطح وذات أعمدة مسطّحة وعقود متعدّدة الفصوص، على غرار العمارة الشاه جهانيّة، ويبُرز أبراجاً تعلوها قباب صغيرة عند زواياه الأربع.

ج ـ حويل وزير خان (محفوظ جزئيّاً)

ربما كان حكيم عليم الدين وزير خان هو مالك هذه الحديقة الواقعة على الضفّة اليسرى لنهر جَمُنا. وكان الوجهاء ذوو المنزلة الرفيعة يمكنهم امتلاك حويل إضافة إلى حديقة في أغرا، ولا سيّما بالنسبة إلى وزير خان لأنّه تولّى حكم أغرا مرّتين، في أعوام ١٦٢٨ ـ ١٦٣١، و١٦٤٠ ـ ١٦٤١. تبيّن رسمة في متحف المهراجا ساواي مان سينغ الثاني في قصر جايبور، ترجع إلى القرن الثامن عشر، أنّ حويل وزير خان يقع مقابل ضريح اعتماد الدولة[٩٣].

ويقابل الوضع في الحويل وضع مبنى كبير عند منعطف طريق جَمُنا ـ كنارا نحو الغرب، يعرف الآن باسم شيرون والي كوتي أو «مكتبة دارا شِكوه». وقد بني فوق منشأة مغوليّة لا يزال يشاهد منه قناطر ذات أعمدة شاه جهانيّة مسطّحة وعقود متعدّدة الفصوص عند حافّة النهر. ويحدّد لوح رخاميّ عند بوّابته أنّه «حويل راي بهادور شيث سوراج بهان كي»، وهو لا يزال تابعاً لفرع من أسرة شيث في ماثورا، تنحدر من سوراج بهان[٩٤].

---

(٩٢) *Annual Progress Report, Agra, Gazetteer of the Archaeological Surveyor United Provinces and Punjab* (1903-1904), p. 23.

(٩٣) الخريطة الرقم ١٢٨ لم تُنشَر حتى الآن. وهي تقدّم اسم الحويل والحديقة بالخطّ الديوانغري. حويل وزير خان في يظهر مخطّط جايبور باتجاه أعلى النهر لكنّ من الواضح أنّ هذا التخطّط يزيح الحدائق من شمال قلعة أغرا كثيراً نحو الشمال من موضع روضة جعفر خان (٤٤) التي يجب أن تكون مقابل رام باغ (باغ نور أفشان) (٣) وليس باتجاه أعلى النهر.

(٩٤) اتصال شخصي مع السيّد نافين تشاند، المالك الحالي لمبارك منزل في ١٢ آذار/ مارس ٢٠٠٤.

د ـ روضة جعفر خان (محفوظة)

إنّ فرزانة بيغم زوجة جعفر خان هي شقيقة ممتاز محلّ(٩٥). ومن ثمّ يرتبط جعفر بعلاقات وثيقة بالأسرة الإمبراطوريّة، فضلاً عن أنّه ميّز نفسه بالخدمة المخلصة. تقع روضة جعفر خان إلى الشمال مباشرة من تحويلة الطريق السريع الوطنيّ رقم ٢ على ضفّة النهر، مقابل رام باغ أو باغ نور أفشان (٣)(٩٦). يقع الضريح، وهو مبنى مربّع ذو سطح منبسط، في وسط ما كان سابقاً حديقة كبيرة مسوّرة يوجد برج عند ركن من أركانها(٩٧). وهي تستخدم اليوم مخزناً للحكومة. ولم تعد ضفّة النهر من حدود روضة جعفر خان مدرجة في مخطّط جايبور. ويطلق سيل تشاند اسم راجوارا على المنطقة التي كانت تضمّ مساكن وجهاء راجبوت الذين خدموا الإدارة المغوليّة(٩٨). وهي تحمل اليوم اسم راجوارا، قرية ينتصب فيها النصب التذكاريّ لجاسوانت سينغ المقبّب.

هـ ـ شاتري جاسوانت سينغ (محفوظ جيّداً)

ثبّت شاه جهان جاسوانت سينغ من راثور في منصبه خلفاً لأبيه وراجا عام ١٦٣٨ ـ ١٦٣٩، وأكرمه لأنه ينحدر من أنبل الأسر الهنديّة. وربما توفي جاسوانت سينغ عام ١٦٧٨(٩٩). كان نصب جاسوانت التذكاريّ(١٠٠) قائماً أصلاً في منطقة مستطيلة مسوّرة ذات أبراج عند أركانها، ولم يتبقّ منها سوى الجدار المزخرف على حافّة النهر. بني النصب التذكاريّ بالحجر الأحمر وكان على شكل مقصورة ذات اثني عشر باباً، أي يوجد ثلاث فتحات في كل جانب. ويرجع طراز حجره الأحمر المزخرف إلى الطراز المعماريّ لفاتح بور سيكري في سبعينيّات القرن السادس عشر. يتمتّع نصب جاسوانت سينغ التذكاريّ بحماية هيئة المسح الأثريّ وهو محفوظ بحالة جيّدة، بالرغم من أنّ محيطه قذر.

---

(٩٥) Beach, Koch and Thackston, *King of the World: The Padshahnama: An Imperial Mughal Manuscript from the Royal Library, Windsor Castle*, pp. 183-184.

(٩٦) موضع روضة جعفر خان في مخطّط جايبور غير صحيح.

(٩٧) Führer, *The Monumental Antiquities and Inscriptions in the North-Western Provinces and Oudh*, p. 67.

(٩٨) Chand, *Tafrih al-'Imarat*, fols. 98b-99a, and Gupta, *Urban Glimpses of Mughal India: Agra: The Imperial Capital (16th and 18th Centuries)*, p. 19.

(٩٩) Khan, *Ma'athir al-Umara*, vol. 1, p. 754, and Ali, *The Apparatus of Empire: Award of Ranks, Offices and Titles to the Mughal Nobility*, pp. 163-S2201, 278-S5917 and 322-S7342.

(١٠٠) Chand, *Tafrih al-'Imarat*, f. 99a; Führer, *The Monumental Antiquities and Inscriptions in the North-Western Provinces and Oudh*, p. 67, and Ram, «The Gardens of Agra,» p. 23.

سادساً: الوجهاء المغول يهجرون المدينة المطلّة على النهر، وسكّان أغرا يستولون عليها

كان نهر جَمُنا الذي يعتبر أحد الأنهار المقدّسة العظيمة في الهند، جوهر المفهوم الفريد لمدينة أغرا المغوليّة المطلّة على النهر. وقد شكّل الشريان، الذي يربط الحدائق كافّة معاً، جادّة (خيابان) مائية كبيرة، كما رآه الشاعر كليم(١٠١)، يستطيع المرء بواسطته الانتقال بالقارب من مسكن أو ضريح إلى آخر.

بدأت أغرا تتراجع عندما نقل شاه جهان بلاطه إلى مدينته الجديدة شاه جهان أباد (دلهي) عام ١٦٤٨. بل إنّها تخلّت عن لقبها دار الخلافة لشاه جهان أباد وحصلت على لقب بديل هو مستقرّ الخلافة(١٠٢). كما ألغيت السمة «الديمقراطيّة» للمدينة، حيث كان في وسع الوجهاء بناء منازلهم على جانبيّ النهر قرب الحدائق الإمبراطوريّة. يمتدّ الجانبان الشرقيّ والشماليّ لمدينة شاه جهان أباد على نهر جَمُنا، وقد شغلت حافّة النهر قلعة الإقامة الإمبراطوريّة ومقارّ ابن الإمبراطور دارا شِكوه وقلّة من الوجهاء المنتقين. كان على أغلبيّة الوجهاء، بل حتى ابنة الإمبراطور المفضّلة الأميرة جهان آرا، أن يبنوا حدائقهم وحويلاتهم داخل المدينة. وقد أصبح مخطّط حافّة النهر امتيازاً إمبراطوريّاً(١٠٣) (انظر الرسم الرقم (٢٣ ـ ١٢)).

ازداد إهمال النخبة الحاكمة لأغرا عندما حبس أورانغزب والده هناك في القلعة حتى مات عام ١٦٦٦. وأصبحت أغرا مدينة الإمبراطور المخلوع. وعندما هجرت النخبة الحاكمة المدينة المطلّة على النهر، استولى عليها المواطنون في أغرا. وخدمت الحدائق كمناطق ترفيهيّة يمكن الوصول إلى مياه النهر من خلالها. وأصبح النهر وضفافه مركز الحياة المدينية في أغرا. وأدى ذلك إلى بروز ثقافة سباحة بارزة يشارك فيها الناس من مختلف المشارب، صغاراً وكباراً، أغنياء وفقراء. وتوّجت بمهرجان السباحة السنويّ، تريفيني، الذي كانت تقيمه الجاليتان المقيمتان في روضة جعفر بصفة مشتركة،

(١٠١) Abu Talib Kalim, *Padshah-nama*, Persian ms. BL OIOC (Ethé: 1570), fols. 115a-b.

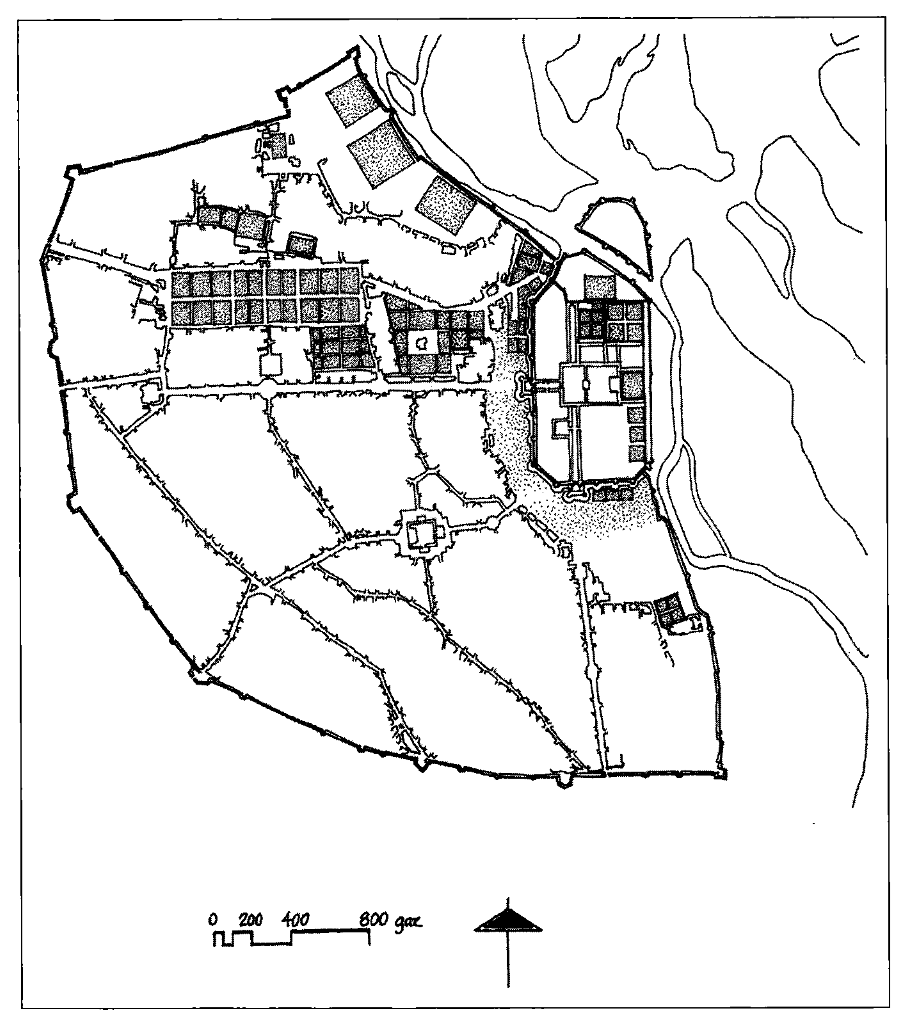
(١٠٢) Ebba Koch, «The Delhi of the Mughals prior to Shahjahanabad as Reflected in the Patterns of Imperial Visits,» in: A. J. Qaisar and S. p. Verma, eds., *Art and Culture: Felicitation Volume in Honour of Professor S. Nurul Hasan* (Jaipur: Publication Scheme, 1993), p. 11, and Koch, *Mughal Art and Imperial Ideology*, p. 171.

(١٠٣) Koch, «The Mughal Waterfront Garden,» and Koch, *Mughal Art and Imperial Ideology*, pp. 183-202.

الهندوس المحتفلون بكريشنا والمسلمون من أتباع خوجة خضر الذي عثر على ماء الحياة، وفقاً للحكايات الإسلاميّة(١٠٤).

الرسم الرقم (٢٣ ـ ١٢)

خريطة شاه جهان أباد، بدأت في ١٦٣٩، تظهر حدائق قصر حصن شاه يوهان، للأمير دارا شِكوه، وحدائق الأميرة جهان آرا ونبلاء آخرين داخل المدينة



المصدر: الرسم من ريتشارد أ. بارّود وإيبا كوش.

(١٠٤) أُجريَ مهرجان مماثل يدعى بايراكي في ماثورا، شمال أغراء، ومركز عقيدة كريشنا. انظر: F. S. Growse, *Mathura: District Memoir* (New Delhi: Asian Educational Services, 1979), p. 181.

وبعد استيلاء البريطانيّين على أغرا عام ١٨٠٣، استمرّ أهلها في الاحتفال بمهرجان السباحة تريفيني، لكنّ الحدائق الممتدّة على ضفاف نهر جَمُنا واصلت تدهورها. وفي النهاية أدى البريطانيّون دوراً فاعلاً في تدمير أقسام كبيرة من مخطّط حافّة النهر، وإن كان ذلك بنيات حسنة[١٠٥].

وفي القرن العشرين، طوى النسيان إلى حدّ كبير المشهد المديني الأصليّ لأغرا المغوليّة واستوعبتها المدينة الدائمة التوسّع. وانخفض مستوى الماء في نهر جَمُنا، الذي يسمّى يمُنا اليوم، بفعل السدود التي بنيت في أعلى النهر لجرّ الماء من أجل الريّ، وتعرّض ما تبقّى ليتدفّق في أغرا للتلوّث الشديد الناتج من مياه المجارير والفضلات الصناعيّة[١٠٦]. وقد تحوّلت ضفّة نهر جَمُنا من أكثر المواقع امتيازاً إلى أدناها. وهو اليوم مرحاض ومكبّ للقاذورات ومكان لممارسة القمار بصورة غير مشروعة.

---

(١٠٥) انظر: Koch, *Taj Mahal: The Monument and the Riverfront Gardens of Agra*, chapter V.

(١٠٦) *Taj Mahal Agra: Site Management Plan* (Delhi: Taj Mahal Conservation Collaborative, 2003), p. 19.